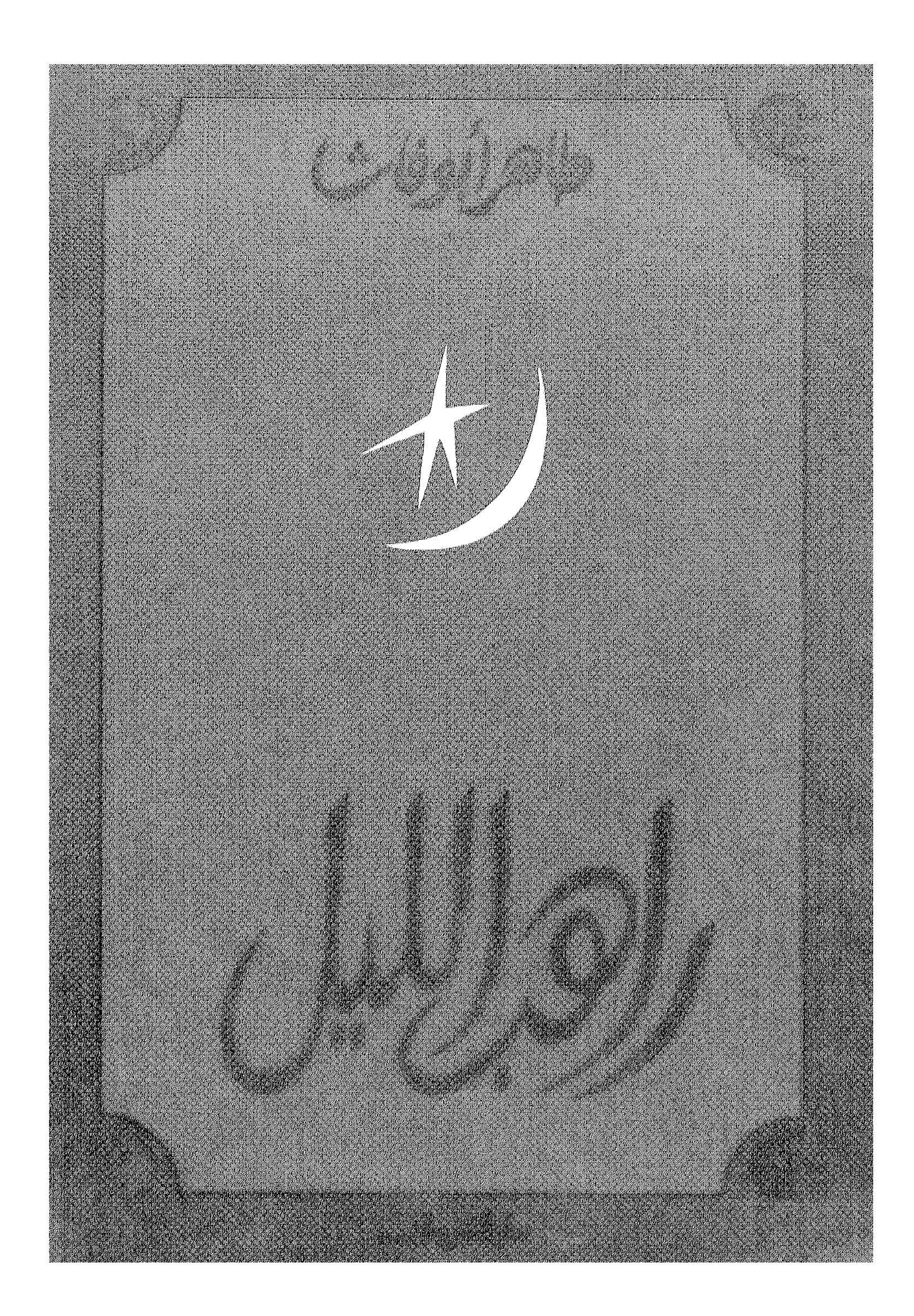

راهب الليل



الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

© دار الشروق

بيروت ص ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٣١٥١١١ - برقيا داشروق
تلكس SHOROK 20175 LE
القاهرة ١٦ شارع جواد حسني - هاتف ٧٧٤٨١٤ - برقيا شروق
تلكس 93091 SHROK UN

[illegible]

راهب الليل

هـذه المجموعـة سجل للحظات العمر الدابر، فيهـا شيء من شعـر الشباب وأمشـاج من شعر الكهـولة والشيخـوخـة.
فاذا وجدت فيها شيئاً من التباين فمن هنا يأتي التباين.

مُقَدّمَة

أَطَلْتُ في ليلِهـا قـيـامي   وعشتُ في ضَجَّةِ الصُّمُوتْ
وضَلَّ رَكْبُ الوَرَى أَمـامي   فــلا ثَـبــاتٌ ولا ثُـبُـوتْ
وكنتُ أخشى من الكـلامِ   فصرتُ أخشىٰ من السُّكُوتْ

ط. ا.
سبتمبر ١٩٨٠



راهِبُ اللَّيْل

عـاشِقُ الـرُّوحِ مستهـامْ ضَـمَّـهُ الـليـلُ والأَلَـمْ
كُلَّمـا استقبـلَ السُّهـامْ غـالطَ الـدمـعَ وَابْتَسَـمْ

راهبُ الليلِ لا ينامْ والجَوى عنه لم ينمْ
عاشِقُ الروحِ مُستهامْ ضَمَّهُ الليلُ والألمْ
كُلَّما استقبلَ السِّهامْ غالَطَ الدمعَ وَابْتَسَمْ

هكذا نحنُ في القِمَمْ
نَصْنعُ الخُلْدَ والقِيَمْ

إنما الحبُّ كبرياءْ تَصِلُ الأرضَ بالسَّماءْ

هاتِ ياليلُ ما تشاءْ

سَتَراْنا مع الصباحْ عندما يُقْبِلُ الصباحْ

قد كَبِرْنَا على الجِراحْ
وَارْتَفَعْنا على الأَلَمْ

هَمَسَ الوردُ للرياحْ وهي تَذْرُوهُ للرَّغامْ
قال هل يُسْكِتُ النُّواحْ صيحةَ الحبِّ والسلامْ
أو تُرَى يَنْتَهِي الصباحْ أو تُرَى يَخْلُدُ الظلامْ
وأَرَى الشمسَ مِنْ بَعِيدْ
تَنْشُرُ الصُّبْحَ مِنْ جديدْ
فَيُغَنِّي له الوُجُودْ فَرْحَةَ الحبِّ والخُلودْ
وهو يَحْنُو على الوُرُودْ
واذا ما أتى الصَّباحْ سيرانا مع الصَّباحْ
قد كَبِرْنَا على الجِراحْ
وَارْتَفَعْنا على الأَلَمْ
لا تَقُلْ طالَتِ الشُّجونْ نحنُ أَقْوَى مِنَ الشَّجَنْ
كلُّ ما كانَ أو يكونْ هَانَ إِنْ نحنُ لم نَهُنْ
نحنُ لا نَرْهَبُ المَنُونْ نحن أَبْقَى مِنَ الزَّمَنْ
ولنا الحبُّ والحياهْ
رَغْمَ ما تصنعُ الحياهْ
وخُطانا على الرِّمالْ تُطْلِعُ الحبَّ والجمالْ
قَصَّرَ الليلُ أم أطالْ
سيرانا مع الصباحْ عندما ما يُقْبِلُ الصباحْ
قد كَبِرْنا على الجراحْ
وَارْتَفَعْنا على الأَلَمْ



هي الأرضُ طَبْعٌ في بَنِيها ومَنْ تَكُنْ
جِبِلَّتُــهُ الأُولــى تــرابــاً تَـمَــرَّدا
وكم ضــاربٍ فيهـا بعكّــازِ تـائـهٍ
يُعَدُّ مِنَ المْوتَى وَإِنْ راحَ أو غَـدَا

ميلادُ شَاعر

مهداة إلى الملاح التائه شاعرنا الباقي علي محمود طه

١

إلى مِثْلِهِ تَصْبُو عذارى الخواطرِ
وفي يومه تَصْحُو سكارَى المزاهرِ

وفي كل هَمْسٍ حولَ بعناهُ ضَجَّةٌ
وفي كلّ معنًى منه صرخةُ ثائرِ

أَلَمَّ على الأيامِ يَسْقي جَدِيبَها
وَيَبْني جديداً فَوْقَ أطلالِ دَاثِرِ

هو الشعرُ ما غَنَّى ربيعٌ، وما بَكَى
خريفٌ، وما اخْضَلَّتْ عيونُ الأزاهرِ

تَراتِيلُ أنسامٍ، وتَسْبِيحُ جَدْولٍ
وَأَنَّةُ موجوعٍ، ومصباحُ حائرِ

أراق على وَجْهِ الصباحِ ضيــاءَهُ
وعــاقَرَهُ في الليـلِ صَمْتُ الدَّيـاجرِ
وَوَدَّتْ بنـاتُ الزَّهـرِ لو أَنَّ عَـرْفَهـا
مِنَ النَّغَمِ القُـدْسِيِّ سَبْحَةُ خـاطـرِ
وإِنَّ جـمــالاً لم تُـسَجِّـلْهُ رِيشَــةٌ
مِنَ الفَنِّ نَهْبٌ لِلسَّــوافي الثَّـواثــرِ
وإِنَّ حـيــاةً لا تُحِسُّ جـمــالَـهــا
لَتَكْلِيفُ مَصْفُـودٍ، وصَفْقَـةُ خـاسـرِ
تَغَنَّتْ بـه الآبـادُ من قَبْـلِ عَـزْفِــهِ
كـلامـاً فجـابَ الـدهـرَ أوَّلَ عـابـرِ
وأَرْهَصَ لــلأوتـارِ حتى إذا شَــدا
تَجاوَبَ فَرْحُ الكونِ في بَرْحِ ساهرِ
ودَقَّتْ نــواقيسُ الـحيــاةِ وأطـلقتْ
رَهْـابِينُها في الجَـوِّ رُوحَ المَبـاخـرِ
ونـادَى مُنادٍ في السمٰواتِ أَوْقِـدُوا
كـواكبَهـا فــاليـومَ ميـلادُ شـاعــرِ

٢

فَضَــجَّ بأَعْـراسِ السمٰواتِ عيـدُهٰـا
وقَـرَّ على شطِّ الحياةِ شـريـدُهـا

تَجَرَّدَتِ الأَنْغامُ فهي عوالمٌ
يُتَرْجِمُ أسرارَ الوجودِ وجودُها
وأَقْبَلَ ربُّ الشعرِ في أيِّ موكبٍ
تَحُفُّ به حُورُ السماءِ وغِيدُها
وطافَ به جبريلُ قبل نُزُولِهِ
إلى العالمِ المَحْدُودِ والأرضُ بِيدُها
فلمَّا دَنَا مِنْ جوهرِ الشِّعْرِ زَلْزَلَتْ
به الساحةُ الكبرى وماجَ أَبِيدُها
وَقِيلَ له يا شاعرَ الكونِ هذه
هي الجَذْوَةُ الأُولى وأنت وَقِيدُها
وَغَوَّتْ بالنارِ القديمةِ كاهنٌ
وَمَسَّ بها الدنيا فَضَاءَ عَمُودُها
وَدَبَّ بها معنًى جديدٌ وأَمْرَعَتْ
بطائحُها الجدباءُ واخضرَّ عودُها
وأَطْلَعَ ساقي الشعرِ في البيدِ كَرْمَةً
مُنَغَّمَةً يَحْدُو الزمانَ نشيدُها
ونادَى نبيٌّ قومَهُ: تلك واحةٌ
على الأُفْقِ عَذْرَاءُ الجِنانِ وَلُودُها
فما آمَنَتْ بالشعرِ إلَّا لُحُونُهُ
وَرَانَ على الأرضِ العجوزِ جمودُها

وقُـدِّرَ للدنيـا الشقـاءُ فـأَلْحَـدَتْ

وَجَـدَّفَ غَـاوِيهـا وضَـلَّ رشيـدُهـا

وأَشْـرَعَتِ الأطمـاعُ فيهـا ضَغَـائِنـا

يُجادِلُ في مَعْنى السلامِ حديدُهـا

ومـا كَـدَّرَ الأيـامَ إلّا ظِمَـاؤُهَـا

وهـل شَابَ مـاءَ العينِ إلّا وُرُودُها

فـلا طـابَ نفسـاً بـالحيـاةِ شقيُّهـا

ولا قَـرَّ عينـاً بـالحياةِ سعيـدُهـا

٣

أَتَنْشُدُ في دنيا الحيارى مَنِ اهتدى.؟

أفي الحانةِ الحمراءِ ترتادُ معبدا.؟

هَـرَقْتَ إذنْ يا سـادِنَ الشعرِ لَحْنَـهُ

وأَهْـدَرْتَ لِلْغَافِينَ نـايـاً مُسَهَّـدا..

هي الأرضُ طبعٌ في بَنِيها، ومَنْ تَكُنْ

جِـبِـلَّتُـهُ الأُولـى تـرابـاً تـمـرَّدا

وكم ضـاربٍ فيهـا بِعُكَّـازِ تـائـهٍ

يُعَدُّ مِنَ الموتىٰ وإنْ راحَ أو غَـدا

وكـانت حياةُ النـاسِ لولا زحـامُهم

عليهـا طـريقـاً للسـلامِ مُعَبَّـدا

فلا تَكُ نجماً جاوزَ الليلَ وحدَهُ
ببَيْداءَ فَانْثالَتْ أَشِعَّتُهُ سُدى
لِمَنْ شارِقٌ في الأُفْقِ إن كنتَ لا ترى
وفِيمَ هُتافُ الوُرْقِ إن كنتَ جَلْمدا

* * *

هُنَالِكَ والدنيا روايةُ ظالمٍ
وقِصَّةُ مظلومٍ وتَلْفِيقُ مُنْتَدَى
وفي ليلةٍ ظلماءَ يَنْسَلُّ بَرْقُها
كما جَرَّدَتْ كَفُّ الكَمِيِّ المُهَنَّدا
وفوقَ رَباةٍ يكمنُ الدهرُ عندها
وتُبصر فيها - قَبْلَ مَوْلِدِهِ - غَدا
دعا ربَّهُ الشادي وأَوْفَى بشعرِهِ
إلى العالم الثاني ومَدَّ له يدا
وكَفٌّ عن الأوتارِ فهي نواشزٌ
كأعصابِ محمومٍ أَلَحَّ به الصَّدَى
وقال بنو الموتى لقد مات شاعرٌ
وكيف يذوقُ الموتَ مَنْ كان مُخْلَدا
بِقَدْرِ شعورِ المرءِ يمتدُّ عمرُهُ
وفي حَمْأَةِ الأيامِ يَرْدَى بنو الرَّدَى

ومـا مـات شـادٍ بـالجمــالِ وإنمـا
إلى عـالَم الألحانِ عـاد كما بَـدا
ومَنْ فهـمَ الأيـامَ لحنــاً مُجَــدَّداً
تـراءتْ لـه الأيـامُ لحنـاً مُجَـدَّدا



ربما اسْتَغْنَتِ الحياةُ عن العلمِ على رغم ما أَتَى العلماءُ
وعلى الفنّ وحدَهُ عاش أجـدادُكَ دهراً وهم بـه سعداءُ
إنَّ مَنْ أطلقُوا العقولَ علينا لستَ تدري أأحسنوا أم أساءوا

في حانة سيد درويش

ألقيت في الاحتفال بذكراه الخامسة والعشرين

دَارَتِ الكاسُ والتقى الندماءُ
وأعادَتْ أيامَها الصهباءُ
وصفَا مجلسُ الشراب وطابَتْ وصحا في عبيرِها الإغراءُ
وَبَدَتْ حولَها المزاهرُ تَشْدو. وَدَعا الشَّرْبَ سامرٌ وغناءُ
واسْتَوى الضَّارِبُونَ فيها أفانينَ وَبَاتَتْ على الغديرِ الظِّماءُ
الليالي والصَّفْوَةُ النُّدَماءُ
وسُقَاةُ المَلاَحِنِ القدماءُ
باكَرَتْهم في موسمِ الفن فانْثَالُوا كما يجمعُ الفراشَ الضياءُ
أم يا نديماى: هذه حانُ باخوسَ وهذي أنغامُهُ العذراءُ
نبضاتُ الأوتارِ فيها تراتيلُ وَهَمْسُ الأعوادِ فيها دُعاءُ

عَصَرَ الفنُّ كَرْمَها مِنْ معانيه ودارَتْ بها النُّغُومُ الوضَاءُ
وإذا القومُ بعد (خمسٍ وعشرين) نَشَاوى كعهدِهِمْ أَنْضَاءُ
رَقَصَتْ في أعصابِهِمْ سَوْرَةُ الفَنِّ وللفنِّ سَوْرَةٌ وانتشاءُ
نَغَمٌ عاجبٌ، ولحنٌ رُواءُ
وهوًى ساكبٌ، وطبعٌ رُخَاءُ
وتَصاوِيرُ للوجود كما لو شَفَّهُ الرسْمُ أو نَحاهُ الطِّلاءُ
وتَعَابِيرُ عن معانٍ دِقاقٍ لم يُحَوِّمْ في جَوِّها الشعراءُ
أنكرتْ عالمَ الفناءِ وضجَّتْ في صَداها الحياةُ والأحياءُ
صانعُ الخُلْدِ لا يموتُ وإن مَدَّتْ عليه سُجُوفَها الغبراءُ
عَلَّمَتْهُ الانسامُ كيف البكاءُ
وهَدِيُر الأمواجِ كيف الإباءُ
وعَويلُ الرياحِ كيف التَّشكِّي، وعبيرُ الوُرُودِ كيف الغِناءُ
رُبَّ لحنٍ كانه موكبُ الرَّعْدِ عَتِياً كأنه الكبرياءُ
ولُحُونٍ كأنها رقصةُ النارِ تُغَنِّيها الزَّعْزَعُ النكباءُ
ولحونٍ كأنها لحظةُ الوصلِ زَهَتْها مَلاوَةٌ ولقاءُ
ولحونٍ تُصَوِّرَ النفسَ ألواناً ففيها الطُّيُوفُ والأَصْداءُ
نغماتٌ تَرَدَّدَ البِدْعُ فيها وسَقَتْها البديهةُ الوَطْفاءُ
غالَ خَلاَّقَها الرَّدَى فَتَبَنَّاها خلودٌ وذادَ عنها وفاءُ
يخفضُ الدهرُ عندها مِنْ جناحيهِ ويَرْدَى الرَّدَى ويَفْنَى الفناءُ
هي كالخمر كلما شَيَّخَ الدهرُ تَناهَى بها الصِّبا والفَتاءُ

ينبضُ الحبُّ في سَناها وتدعوكَ إلى اللهِ روحُها الحسناءُ
ومن الفنّ ما يُعَلِّمكَ الحقَّ اذا مَوَّهَ الوجودَ الرياءُ
ومن الفنّ ما يُبَشِّرُ بالرحمةِ دنيا طَغَى عليها الشقاءُ
ليس في جوهر الحقيقةِ غيرُ الفنّ شيئاً. وغيرُهُ أَسْماءُ
والذي أَبْدَعَ العوالمَ فَنّانٌ تَظَنَّى في فَهْمِهِ الفُهَماءُ
والليالي قصائدٌ عصماءُ
وأولو الفنِّ وحدهم أنبياءُ
ربما اسْتَغْنَتِ الحياةُ عن العلم على رغم ما أتى العلماءُ
وعلى الفنّ وحده عاش أجدادُك دهراً وهم به سعداءُ
إن مَنْ أَطْلَقُوا العقولَ علينا لستَ تدري أأحسنوا أم أساءوا
والذي ظنَّها تراباً وماءً هو في نفسه ترابٌ وماءُ
شَدَّ ما تجنحُ الحياةُ إلى الروح وإن كان في الطريقِ التواءُ



ولــكــنَّ الــظلامَ إذا تــمــادَى
فَـلَيْسَ مِنَ انتــظارِ الفَـجْـرِ بُـــدُّ
وقــد يـأتي الصبــاحُ على هــوانــا
وقــد تَجْـرِي الــريـاحُ كمــا نَـوَدُّ

في انتظار الفجر

بِقلبي ما بقلبِك أو أَشَدُّ
وعندى مِنْ جَواكَ جوًى وسُهْدُ
ولكني أُكابر فيكَ ضَعْفي
ودمعي مِثلُ دمعِك مُسْتَبِدُّ
تُراوِدُني دواعيهِ فأُغْضي
وبي مِنْ كبرياءِ الدمعِ جَهْدُ
إذا سَكَنَتْ إليه العينُ يوماً
تمرَّدَ في دمي لهبٌ وَوَقْدُ
فَيَرْمِيني على العبراتِ وَجْدُ
وَيَثْنِينى عن العبراتِ وَجْدُ

ولـــو أني بكيتُ لَـخَفَّ مـا بـي
ولـكـنَّ الـبُـكـا لِـلْحُـرِّ قَـيْـدُ

* * *

هي الـدنيا فـلا تَعْتِبْ وَخُـذْهـا
عـلى عِـلَّاتـهـا لا شـيءَ بَـعْـدُ
ولـلأيـامِ أعـمـارٌ قِـصـارٌ
وأقـدارٌ تـروحُ بـنـا وتـغـدو
قـوافـلُ في ضميـر الغَيْب تَمْضي
وصَـرْفُ الـدهـرِ يهـزلُ أو يَجِـدُّ
ونـائحـةٌ على الأغـصـانِ تبـكي
كهـاتفـةٍ على الأغصـان تَـشْـدُو
فـلا تعتبْ على الـدنيـا ودَعْهـا
لمن يـبكـيِ عليـهـا وهي تَـعْـدو

* * *

تعـالَ إلى خميـلِ الحبّ نَشْـدُو
كسـالفِ عهـدِنـا والعيشُ رَغْـدُ
تـعـالَ فـنحن في دنيـا هـوانـا
نـعيشُ وبـيـنـنـا سـبـبٌ وعَـهْـدُ
تـعـالَ فليس بـعـد الحـبّ شيءٌ
ولـيس لـعـالَـمِ الأشـواقِ حَـدُّ

يَــدُ الأيــام أَقْـصَــرُ مِنْ هــوانــا

فـكيـف تـنــالُ مـنــه وهــو خُـلْدُ

ولــكــنَّ الــظلام إذا تــمــادَى

فـليس من انـتــظارِ الفـجــرِ بُــدُّ

وقـد يـأتي الصبــاحُ على هـوانــا

وقــد تَجْـرِي الــرياحُ كمــا نَـوَدُّ



أَيُّهذا النديمُ ويحكَ أوَفَـيْتَ فَمِلْ بي على مُوَيْسٍ وَهاتِ
أنا في شَطِّهِ أراقبُ فِعْـلَ الدهـرِ في أهله وأرقبُ ذاتي
أنا في شطِّهِ أُراجـعُ في سِفْرِ وجـودي أيَّاميَ الخـالياتِ

رجعة الى مويس

ومويس نهير يمر بالزقازيق كانت لنا على شطآنه ذكريات أيام كنا فتية نتعاطى المعرفة في معهد الزقازيق

وصلَ الرَّكبُ يا نديمُ فهاتِ
هذه رَمْلَتي وتلك رَباتي
الرِّياض اللفَّاءُ . والرَّفْرَفُ الخُضْرُ . ومَغْنَى الصِّبا . ومَلْهَى اللَّذاتِ
ومَغَاني عَمَّاتِكَ النَّخْلِ فَرْعاءَ صموتاً كعهدِها قائماتِ
ومُوَيْسُ السكرانُ راويةُ الحبّ وساقي لُحُونِهِ النَّيِّمِلاتِ
معبدُ الراهبِ الخليعِ بساطٌ للندامى وموعدٌ للغُواةِ
العجوزِ الزنديقِ خمارةِ الشعر وعُزَّى ندمانِها واللاّتِ
خَطَرَ الفنُّ حوله فَجَثا يَستَغْفِرُ الحُسْنَ والعُيونَ اللَّواتي
وعلى صَدْرِهِ بُغَامُ حنينٍ . وعلى شَطِّهِ عُرامُ سُقَاةِ
أنا أيضاً من السُّقاةِ ولي في ذلك الشَّط قِصَّتي وَرُواتي

فوق هذا الثّرى سَكَبْتُ مِنَ العُمْرِ سِنِيناً عَصَرْتُها مِنْ حياتي
وعلى هذه الرِّمالِ تناولتُ كتابَ المأساةِ والمسلاةِ
والزمانُ المَطْمُورُ تحتَ رُباها بعضُ ذاتي وفيه بعضُ صفاتي
فاعْذِرُوني إذا لَوَيْتُ عن الرَّكْبِ فإني أَسِيرُفى ذكرياتي

* * *

يا سَقَى الله بالزقازيق أيامَ صبايَ النواضرَ العطراتِ
وسنيناً كأنها طَرْفةُ العينِ خِفافاً مَرَرْنَ كاللّحظاتِ
يَسْتَرِقنَ الخُطَى إلى شاطىء النسيانِ في موكبٍ رهيبِ الصُّماتِ
مَنْ تُرَى أَيْقظَ الخواطرَ حولي وأثارَ المَطْوِيَّ مِنْ صفحاتي
وأعادَ الأيامَ والمعهدُ السامقُ مسروجٌ بالنجومِ الهُداةِ
الفُحولِ الأعلامِ أَمْثِلَةِ الزُّهدِ وشِيخَانِهِ العُدُولِ الثِّقاتِ
ورفيقٍ كأنه هامشُ الشَّرْحِ إذا صَاتَ يمضغُ القافاتِ
حَنْبَلِيٌّ كأنه الجملُ الأَوْرَقُ صَخَّابَةٌ كثيرُ اللَّتَاتِ
السراجُ العليل يَشْهَقُ في محرابِهِ والبِلَى يَرُوحُ وَيَاتي
ونَضِيجٍ مُفَلْفَلٍ لاذِعِ الطَّعْمَةِ يَشْوِي أصابعي ولَهَاتي
هو زادُ المسافرين بلا زادٍ وقُوتُ المحتاجِ للأقواتِ
يَتَصَبَّى المجاورين فَنَنْصَبُّ عليه كالفاتحين الغُزاةِ
أُتْرُكِ المَتْنَ. وَاطْوِ حاشيةَ السَّعْدِ. وأَدْرِكْ شَيْخُونَ قَبْلَ الفَواتِ
أنا مِنْ مازنٍ ومازِنُ مِنّي والليالي القَمْراءُ مِنْ صَدَحاتي

* * *

أَيُّهذا النديمُ وَيْحَكَ أَوْفَيْتَ فَمِلْ بي على مُوَيْسٍ وهاتِ

أنا في شطِّهِ أراقبُ فِعْلَ الدهرِ في أهلِهِ وأرقبُ ذاتي

أنا في شطِّه أُراجِعُ في سِفْرِ وُجودي أيامِيَ الخالياتِ

أُوقِظُ الماضيَ البعيدَ وأخشى أَنْ تَغيمَ الأشباحُ في خلجاتي

وأنا الشاعر الذي زَمْزَمَ الكاسَ فَرَنَّتْ بهذه المُرْقِصاتِ

ليتَ مَنْ عَقَّني وَأَلْحَدَ بالشعرِ يَرُدُّ الأَخِيذَ مِنْ خطراتي



في زَوْرقِ الأحلامِ رُوَّادُ
وصلوا ضِفـافَ الغيبِ أوكادُوا
والشوقُ بين رحالهم زادُ . .

لحنٌ قَديم

دُورُوا بها في يومِها دُورُوا كادتْ تطيرُ بِأَهْلِها الدُّورُ
دُورُوا بها

في زَوْرقِ الأحلامِ رُوَّادُ وصلوُا ضِفَافَ الغَيْب أوكادُوا
أحلامُهمْ أفراحْ وحَنِينُهُمْ مَلَّاحْ

والشَّوْقُ بين رِحَالِهِمْ زادُ ولهم بأرضِ الحبّ ميعادُ
والحبُّ أغوارٌ وأَبْعادُ فيها الهوى والظلُّ والنُّورُ
دُورُوا بها في يومِها دُورُوا

راحتْ بما نخشاهُ أيامُ وأتتْ بما نهواهُ أيامُ
يا فرحةَ الأفراحْ يا جنة الأرواحْ

أيامُنا والعيشُ أحلامُ وحياتُنا شعرٌ وأنغامُ
وعلى طريقِ الشوقِ أعلامُ فَرْحَى يُرَفْرِفُ حولَها النُّورُ

وَتَزُفُّها الوِلْدَانُ والحُورُ
دُورُوا بها في يومِها دُورُوا



مودُ في أَوابِدِهِ الشَّماءِ بُعْدٌ. وفي شَذَاها اقترابُ
حَلْبَةِ المُحَلِّقُ كالنَّسْرِ بعيداً. في شَـذْوِهِ إِغْرابُ
، تَشِفُّ عن المعنى كحسناءَ يَـزْدَهِيها نِقـابُ

محمود حسن اسماعيل
في ذكراه الرابعة

غابَ عن روضِهِ. وطالَ الغِيابُ
نازحَ الروضِ: ما كفاكَ اغترابُ.؟
جَفَّتِ الكاسُ يا جديدَ المعاني، وشكا النايُ شَجْوَهُ. والرَّبابُ
وذَرَتْ نُضْرَهُ النَّدِيَّ كما يَذْوِي شعاعٌ إذا تَهاوَى الشِّهابُ
شَأْنُ مَنْ عاقَرُوا أغارِيدَ محمودَ فغابُوا وهم حُضُورٌ وذَابُوا
وتَساقَوْا على هواهُ أهازِيجَ تَغَنَّى بها الهوى والشبابُ
ذاكَ محمودُ في أوَابِدِهِ الشَّماءِ بُعْدٌ. وفي شَذَاها اقْتِرابُ
شاعرُ الحَلْبةِ المُحَلِّقُ كالنَّسْرِ بعيداً. في شَدْوِهِ إِغْرابُ
فنسيمٌ مُعطَّر. وهجيرٌ. وظِلالٌ. وَهَدْأَةٌ. واضطرابُ
وضَبَابِيَّةٌ تَشِفُّ عن المعنى كحسناءَ يَزْدَهِيها نِقابُ
وأفانينُ مِنْ رُؤىً لا تراها العينُ لكن تَرُودُها الألبابُ

صُوَرٌ جَادَها هوىً غَلاَّبُ
وخيالٌ مُجَنَّحٌ وَثَّابُ
وحنينٌ لعالمٍ ليس يَبْدُو. فيه شَجْوٌ. وفيه جَوٌّ عُجابُ
رِيشَةٌ مِنْ جناحِ جبريلَ في كَفِّ هَتُوفٍ لُحونُهُ محرابُ
يَسْجُدُ الفنُّ في ثَراها. وتَنْدَى خطراتُ الهوى. وتَعْنُو الرِّقابُ
ذاكَ محمـودُ. ما لمحمـودَ أنـداءٌ. ولكنمـا لـه أحبـابُ
جَمَعَتْهُمْ في حـانةِ الشعـرِ أقداحٌ وراحٌ رَاوُوقُهـا مِطْرابُ

* * *

لستُ أنسى أيامَنا منذُ كُنَّا. حيث كان الصِّبا وكان الشبابُ
والليالي كما عهدنا وِضاءٌ. والأماني كمـا رَجَوْنـا عِذابُ
وَدِنـانُ الزمـانِ تَفْهَقُ بالشعـرِ وتدعـو لكأسِهِ مَنْ أنـابُـوا
وتراتيلُ شـاعرِ الكـوخ في الحانـةِ شوقٌ لشـوقِهِ وَلُهـابُ
فَانْتَشَى الشَّرْبُ. والنَّدامى. وطابتْ لحظاتُ اللِّقا. وطابَ الشرابُ

* * *

أين تلك الأيامُ يا ساقيَ الشعرِ. وأين الرَّاوُوقُ والأكوابُ
أين أيـامُنـا. وأين ليـالينـا. وأين الـرِّفـاقُ والأصحـابُ
سبقُـونـا لعـالمٍ ليس فيـه نَـزَواتٌ وليس فيـه احْتِـرابُ
إيهِ محمودُ. مـا قَضَيْتَ وما زال شَجِياً هُتافُـكَ الخَلاَّبُ
أنتَ في عالم البقاء مقيمٌ. ليس في تُرْبِها عليكَ حِجابُ
أنت روحٌ مُجَنَّحٌ. رائعُ الشَّدْوِ. مُحالٌ أن يحتويكَ التُّرابُ



ولقد ساءلتُ نفسي كلَّ صبحٍ ومساءْ
عالَمٌ تصطدمُ الوحشةُ فيه بالفَناءْ
أُفْرِغَ العقلُ عليه فهو فَنٌّ وَرُواءْ
إنْ يَكُنْ تَقْوِيضُهُ حَتْماً فَلِم كانَ البِناءْ
ولماذا بَعْدَ عُمْر الأرضِ في هذا العَناءْ

خُماسِيّات

وَرَاءَ خُطىٰ الليل..

هَـدَأَ الـكـونُ وأَضْـفـى الـلـيـلُ ثـوبَ الـظلمـاتِ
سـاكـنـاً إلا بـصـيـصـاً مـن نـجـومٍ خـافـقـاتِ
تـرسـلُ الـضـوءَ كـجـوّابٍ ضـعـيـفِ الـخـطواتِ
يَعْبُـرُ الـدهـرَ إلى المجهـولِ مِنْ تِيـهِ الـحيـاةِ
كـالصَّدَى الغـامضِ. أو كـالـطَّيفِ، أو كـالْهَمَسَـاتِ
هَـدَأَ الـكـونُ فـمـا لِـلْكَـوْنِ دُونَ الـنَّـبض حِسُّ
وَغَـطِيطُ الـنهـرِ حُلْمٌ. وحـديـثُ الـريـحِ هَـمْسُ
والأَوَاذِيُّ عـلـى الـشـاطـىءِ تَـرْبـيـتٌ وَلَـمْسُ
هُـدْنـةٌ لـلكـونِ من حـربٍ عـلى الأكـوانِ تَـقْسُـو
ركـبـتْ زورقَ ظـلـمـاءَ عـلى الـفـجـرِ سَـيَـرْسُـو

* * *

هدأَ الكونُ فما لي قد طغَى تَيَّارُ فِكْرِي
يَعْصِفُ الشكُّ به حتى على الشَّك ويُغْرِي
لا تَلُمْ حَرَّانَ دَاوَى لذعةَ الجمرِ بِجَمْرِ
لَوَّحَ الوَهْمُ له فانْسابَ فوق الشَّوْكِ يَجْرِي
أضلالٌ أم هُدىً ما نحن فيه ليت شعري
آهِ لو يكشفُ عن مَخْبئِهِ سِرُّ الحياةْ
إنني ظمآنُ.. ظمآنُ على وِرْدِ المياهْ
إنني حيرانُ.. حيرانُ تَرَدَّى في أساهْ
ليس يَشْفِينِي سُكوتي . لا... ولا تُجْدِي الشَّكاهْ
وطريقُ الشكِّ دُوني لستُ أدري مُنْتَهاهْ

* * *

تائِهٌ طالَ سُراهُ في مَجاهِيلِ العُصُرْ
جامِدُ الوجْهِ، خفيفُ الخَطْوِ، يجتازُ القَدَرْ
كُلَّما شَاخَ وأَوْهَى شَرْخَه شَيْبُ السَّحَرْ
ذابَ في الفجرِ. وأَلْقَى السيفَ في صمتٍ وَفَرْ
أين يا ليلُ بنا تمضي لقد طالَ السَّفَرْ
ما لهذا الليل لا ينفكُّ عن هذا الرحيلْ
دائباً ينتهبُ الأجيالَ جيلاً بعد جيلْ
يُفْسِحُ الدنيا لكونٍ مقبلٍ جَمِّ الفُضُولْ
ثم يَطْوِيهِ لكونٍ آخرٍ عَمَّا قليلْ

قِصَّةُ الدنيا المنايا، ولياليها الفُصُولْ

* * *

قصةٌ طالتْ وَلَمَّا يُسْدِلِ الدهرُ السِّتارْ
لَخَّصَتْ دنياكَ في كَرِّ الليالي والنهارْ
ورَحاها أين دارتْ شَمَّرَ الموتُ ودارْ
قِفْ على الشاطئِ وانظرْ كيف يَنْثالُ الدَّمارْ
لَكَأَنَّ الليلَ جيشٌ والدياجيرُ الغُبارْ
أتَرى البدرَ ضليلاً.؟ هل رأيت الشُّهب حَيْرَى؟
تَذْرَعُ الأفقَ ثقيلاتِ الخُطى شِبْراً فشبرا
سائماتٍ في الفيافي تأكلُ الآجالَ جَهْرا
فاذا صاحَ بها الديكُ مضتْ تأكلُ سِرًّا
ليست الأعمارُ إلا ليلةً تمضي وأخرى

* * *

ليلةٌ تلك التي أَطْلَعَها الغَيْبُ وراحَتْ
ونعاها الديكُ واستبكى النَّدَى حتى توارتْ
أين راحت هذه الليلةُ؟ بل من أين جاءتْ
ما الذي ينقصُ عُمْرَ الكونِ وَلَّتْ أو أقامتْ
إنها الأيامُ دارَتْ. إنها الساعةُ حَانَتْ
إيهِ يا دنيا رويداً.. لا. بل امْضِي ساخِرَهْ
إنما نحن نيامٌ في سفينٍ ماخِرَهْ

تُـرِكَـتْ دَفَّـتُـهـا نَـهْـبَ الـسَّـوافـي الـثـائـرهْ
فـمضتْ بين صخـورِ الغيـبِ تـجـري عـابِـرَهْ
أَتُـرى «جُـودِيُّـهـا» غَـيْـرُ صـخـورِ الآخـرهْ

* * *

هـل رأيتَ الـرَّاكض المجنـونَ يَـعْـدو خَـلْفَ ظِـلِّهْ
جـاهـداً يـسـبـقُـهُ الـظِّلّ ويُـغْـرِيـهِ بِـنَـوْلِـهْ
هـو مـنـه خـطوةٌ لـكـنـهـا كـالـكـونِ كُـلِّهْ
هـكـذا الإنسـانُ فـي الـدنيـا ضَلِيـلاً خَلْفَ عَـقْـلِهْ
كـلـمـا ازدادَ عـلـومـاً زادَ إيـقـانـاً بـجـهـلِهْ
إنـمـا الـدنـيـا كـتـابٌ وبـنـو الـدنـيـا سـطورْ
دَفَّـتـاهُ سـاعـةُ الـمـيـلادِ والـيـومُ الأخـيـرْ
تـقـرأُ الأيـامُ فـيـه قـصَّـةَ الـكـونِ الـكـبـيـرْ
كـلَّـمـا مَـرَّتْ عـلى سـطرٍ وَعَـتْـهُ فـي الـضـمـيـرْ
ومَـضَـتْ تـمـحـوهُ لا يُـمْـهِـلها وَخْـدُ الـدهـورْ

* * *

سُـبْحَـةٌ في كفّ شيـخٍ راهبٍ بـالـمـوت يُـغْـرِي
كـلّمـا سبَّـح مَـرَّتْ حَبَّـةٌ في الـغـيـبِ تَـجْـرِي
مـا الـذي أبـقـاهُ مِنْ حَبّـاتـهـا. لـيـتـك تَـدْري
أيهـا الشيـخُ رويـداً إنـني في الـمـوتِ غـيـرِي
هـذه الـحبَّـاتُ في كـفِّ الـرَّدَى سـاعـاتُ عُـمْـرِي

كـانـت الـدنيـا قِـفـاراً والـليـالـي مُـضْـجِـراتُ
تَـنْـعَـبُ الـوحـشـةُ فـيـهـا وتـغـولُ الـظلمـاتُ
والأسـاطـيـرُ بـهـا مِـنْ قـوةِ الـجـهـلِ حـيـاةُ
حَـلُمَتْ حتى أفـاقـتْ ونـأى عنـهـا الـسُّبـاتُ
فـاذا الـمـوجُ فَـحِـيـحٌ. والـسَّـوافـي صَـرَخـاتُ

* * *

مَـنْ تُـرى أَنْشَـأَ ذاكَ الـروضَ مِـنْ تلك الـقِـفـارْ
سـلَّطَ الـعـلمَ عـلى الـجـوِّ وأَزْرَى بـالـبِـحـارْ
ومـضى فـي الأرض يَسْتَعْـدِي عـلى الأرضِ البُخـارْ
قـد طـواهـا فـهـو ريـحٌ واحْتَـواهـا فـهـو نـارْ
سَـعَـرٌ فـي قُـوَّةِ الإنـسـانِ يَشْـفِـيـهِ الـسُّعـارْ
تَـخِـذَ الـسِّـلْكَ رسـولاً وامـتـطى الـبـرقَ وَهَـمَّـا
يَنْخُـلُ الـعـالـمَ في تـفـكـيـرِهِ والـبـحـثِ عَـمَّـا
كـلَّ يـومٍ بـجـديـدٍ مُـعـجـزٍ يُضْـنِـيـكَ فَـهْـمـا
قـد أتـى بـالـسِّـحْـرِ والـبـحـثُ فَـطِـيـرٌ لـم يَـتِـمَّـا
إنـنـي أسـألُ مـاذا يـصـبـحُ الـعـالـمُ لَـمَّـا

* * *

عـنـدمـا يـأخـذُ كـلَّ الـكـونِ تـفـكـيـرُ الـبـشَـرْ
لـم يَـدَعْ فـي الأرضِ شِـبْـراً لـم تُـقَـلِّبْـهُ الـفِـكَـرْ
هَـبْـهُ طـالَ الـنَّـجم فـي الـعـليـاءِ أو جـازَ الـقَـمَـرْ

وتَـحـدَّى قـوةَ الـدنـيـا وأزْرَى بـالْـغِـيَـرْ
ثـمـرٌ طـابَ فـمـاذا بـعـد أن طـابَ الـثـمـرْ
ولـقـد سـاءلـتُ نـفـسـي كـلَّ صـبـحٍ ومـسـاءْ
عَـالَـمٌ تـصـطدمُ الـوحـشـةُ فـيـه بـالـفَـنـاءْ
أُفْـرِغَ الـعـقـلُ عـلـيـه فـهـو فَـنٌّ وَرُواءْ
إنْ يَـكُـنْ تـقـويـضُـهُ حـتـمـاً فَـلِـمْ كـانَ الـبِـنـاءْ
ولـمـاذا بـعـد عُـمْـرِ الأرض فـي هـذا الـعَـنـاءْ

* * *

ضِـلَّـةٌ لـلـعـقـلِ مـخـدوراً غـريـقـاً فـي الـخُـمـارِ
وَجَـدَ الـعـالَـمَ أشـواكـاً ونـاراً خَـلْـفَ نـارِ
فمشى فـوق اللَّهـيبِ الـجـاحـمِ الـمسـعـورِ عـارِي
هـائـمـاً يَـغْـمُـرُ فـي الـدنـيـا بـأسـبـابِ الـدَّمـارِ
ربـمـا كـان خـرابُ الـكـونِ فـي هـذا الـعَـمـارِ
أصـحـيـحٌ أن قـومـاً أدركـوا سِـرَّ الـحـيـاةِ
وَبـحـقٍ أدركـوه أم أتـوا بـالـنُّـزهـاتِ
أَفْـتَـوُا الـعُـمْـرَ جـدالاً فـي أمـورٍ بـاطـلاتِ
سَـكَـبُـوا فـي هـامش الـكـونِ دمـاءَ الـشـبـهـاتِ
ثـم راحُـوا وكـتـابُ الـكـونِ بِـكْـرُ الـصَّـفـحـاتِ



هِيهِ يا أوَّلَ الطريقِ من العام يميناً فنهتدي أم شمـالاً
أيّ شيءٍ صورتَهُ حين صوَّرْتَ من النُّورِ جـابةً وسؤالاً

هلالُ المُحَرَّم

عادَ بعد النَّوى وأَلْقى الرِّحالا
صامتٌ قام يخطبُ الأجيالا
وشهيدٌ على الزمان قديمٌ. كالزمانِ القديمِ يأبى الزَّوالا
وكـأَنَّ الظلامَ حـول مَرائيـهِ غُبـارُ الـدهـورِ مَـرَّتْ ثِقـالا
والزمانُ العجـوزُ داهيةٌ يـرتجلُ المـوتَ والحياةَ ارتجـالا
والـزمانُ العَنِيـدُ أحمقُ يـرتـادُ المنـايـا ويـركبُ الأهـوالا
والزمان العجيبُ أُسـطورةٌ يَنْسِجُها الـوَهْمُ للوجودِ خيـالا
صامتٌ قام يخطبُ الأجيالا
وَدَّ لو ترجمَ الضياءَ مقالا
وبـواكيـرُ مِنْ سنـاءٍ تَهـادَى، كتبـاشيـرَ مِنْ رجـاءٍ تَـلالا
خطَّهُ الغيبُ في السموٰات سطراً. وَهِمَ الناسُ إذْ دعوهُ هلالا

هو هَمْسٌ في خاطرِ الكون مشبوبٌ يَقُصُّ التاريخَ والأبطالا
هو فَنٌّ على السماءِ. ومعنىً كالمعاني. وهجرةٌ تتوالى
هو شيءٌ غيرُ الأهاليلِ يُوفي كلَّ عامٍ فَيُوقظُ الآمالا
خِنْجَرٌ في يَدِ المحرَّمِ مَسْلُولٌ على عالَمٍ يَضِجُّ خَبالا
قد لَواهُ الطّعانُ في لَجَبِ الدهرِ وعُنْفُ الطعانِ يَلْوِي النِّصالا

* * *

هِيهِ يا أوّلَ الطريقِ من العامِ يميناً فنهتدي أم شمالا
أيّ شيءٍ صوَّرتَهُ حين صوَّرْتَ من النُّور جابةً وسؤالا
أتُرانا على الطريق أم انْبَتَّتْ بنا السُّبْلُ وانتحرنا جدالا
وخرجْنا إلى الحياةِ مَثاكيلَ نُجيدُ النُّواحَ والإعْوالا
وقَنِعْنا من المعاركِ بالوصف وخُضْنا غِمارها أقوالا
ونَصَبْنا لكلِّ ساعٍ شراكا. وملأنا طريقَهُ أوحالا
واحتمينا من الحقائق بالجهل وسرنا وراءه أشكالا
الذي صار عند قوم حراماً كان في يومه القريب حلالا
ضِلَّةٌ لِلَّجْاجِ يَخْتُلُ قومي ويُريهم أقوالَهم أعمالا

* * *

يا هلالاً في مطلع العامِ أُلْهُوباً يسوقُ الأيامَ وهي كُسالى
هاتِ من ذكرياتِ يومك يوماً يَقْرَعُ الغافلين والجُهّالا
وأعِدْ قصَّةَ الخلودِ على العالم واضربْ فُصُولَها أمثالا
هي ميراثُ أمةٍ غالها الخُلْفُ وصاغَتْ من جهلها أغلالا

قصةٌ، ترسُمُ البطولةُ في أحـداثها العَـزْمَ صارماً والنضالا
قصةُ الرأيِ حين تَجْحَدُهُ الأرضُ عِنادا من حمقها أو ضلالا
قصـةٌ تُلْهِمُ التأمُّـلَ مَسْراهُ وتُضْفى على الـوجودِ جـلالا
ما نظمتُ التاريخَ فيها ولكني ضربتُ التاريخَ فيها مثالا



ومِنْ صِلاتي بلك دمعُ المعذرهْ
إن لم يكن ذنبٌ فقيمَ المغفرهْ

طاعَةُ المعصِيَة

أَنْشأْتَ نَسْراً وخلقتَ قُبَّرَةْ
وصُفْتَ ظبياً وارتجلتَ قَسْوَرَةْ
تناحُرُ البقاءِ في هذا الشَّرَهْ
مجزرةٌ في الدهر أَيُّ مجزرَهْ
فمَنْ أتاحَ الكونَ تلك السيطرهْ
ومَنْ أَمدَّهُ بتلك المقدرَهْ
والذنبُ يا ربَّاه مَنْ ذا صوَّرَهْ
مَنْ قال كُنْ ذنباً ومَنْ ذا قدَّرَهْ
قد جئتُهُ عمداً لكيما تغفرَهْ
ومِنْ صِلاتي بك دمعُ المعذرَهْ
إِنْ لم يكن ذنبٌ ففيمَ المغْفِرَهْ

* * *

إنْ عبـدَ الناسـكُ مـا شـوَّقْتَـهُ
أو رهـبَ الـراهبُ مـا خـوَّفْـتَـه
فقـد عبدتُ فيـك ما قـدَّرْتَـهُ
أردتُ يـا ربـيَ مـا أرَدْتَـهُ
فـمـا الـذي أجـرمَ مَنْ نَـحَـتَّـهُ
مِنْ صخـرةِ الإثم الـذي جَبَلْتَـهُ
وإنْ أكـن عـصـيتُ مـا أمـرتَـهُ
فـإنـني أطـعتُ مـا أَبْـرَمْـتَـهُ
أيخرجُ العبدُ على ما شئتَهُ

* * *

عِصيـانيَ الـطاعـاتِ إنْ أسـأتُ
كـطاعـةِ العصيـانِ إن أحسنتُ
رُحْماك يا ربي فإني حِرْتُ



على قلبي وضعتُ يَدا   ونحوكَ قد ممدتُ يدا

وليس يضيقُ بابُكَ بي   فكيف تَذُودُ مَنْ وَرَدَا

لغَيرُكَ ما مَدَدتُ يَدا(١)

لِغيـركَ مـا مـددتُ يـدا وغَيْـرُك لا يَفـيضُ نَـدى

وليس يضيقُ بـابُـكَ بي فكيف تَـرُدُّ مَنْ قـصـدَا

ورُكْنُـكَ لم يـزل صَمَـدا فـكـيـف تَـذُودُ مَـنْ وَرَدَا

ولـطفُـكَ يـا خَفِيَّ اللُّطْـ ـفِ إنْ عادِي الزمانِ عَدا

* * *

على قلبـي وضعـتُ يـدا ونحـوكَ قـد مـددتُ يـدا

سَـرَى ليلي بغيـرِ هُـدىً ولا أدري لأيِّ مَـدى

يُطارِدُني الأَسى أَبَـدا ويـرعـاني الجـوى أَبَـدا

ويَنْشُـرُ في الهـوى روحـاً ويَـطْرِيني الهـوى جسـدا

---

(١) موسيقى وألحان كمال الطويل وعناء أم كلثوم

وأَطْـوْي الـبِيـدَ طـاويـةً كـأني في الفضـاءِ صَـدَى

* * *

نهـاري والهـجيـرُ لَـظىً ولـيـلي والـظلامُ رَدَى
فـواكـبـدا إذا أُضْـحـي وإن أُمْـسي فـواكـبـدا
ولـيس سـواكَ لي سـنـدٌ فقـدتُ الأهـلَ والسَّنَـدا



ولمَّا طواني الدُّجى والجوى
لَقِيتُ الهوى وعرفتُ الهوى

حانَةُ الأقدَار[1].

حانةُ الأقدارْ
عربدتْ فيها. لياليها
ودار النُّورْ
والهوى صاحي

* * *

هذه الأزهارْ
كيف نسقيها. وساقيها
بها مخمورْ
كيف يا صاحِ

* * *

---

(١) موسيقى وألحان محمد الموجي. وغناء أم كلثوم

سألتُ عن الحب أهلَ الهوى
سُقاةَ الدموعِ ندامىٰ الجوى
فقالوا حَنانَكِ مِنْ شجْوِهِ
ومن جدِّه بكِ أو لَهْوِهِ
ومن كَدَرِ الليلِ أو صَفْوِهِ
سَلِي الطيرَ إن شئتِ عن شَدْوِهِ
ففي شَدْوِهِ هَمَسَاتُ الهوى
وَبَرْحُ الحنينِ وشَرْحُ الجَوى

* * *

ورحتُ إلى الطيرِ أشكوُ الهوى
وأسألُه سِرَّ ذاكَ الجوى
فقال حَنانَكِ مِنْ جَمْرِهِ
ومِنْ صَحْوِ ساقيهِ أو سُكْرِهِ
ومِنْ نَهْيِهِ فيكِ أو أَمْرِهِ
سَلِي الليلَ إنْ شئتِ عن سِرِّهِ
ففي الليل يُبْعَثُ أهلُ الهوى
وفي الليل يَكْمُنُ سِرُّ الجوى

* * *

ولما طَواني الدُّجى والجَوى
لَقِيتُ الهوى وعرفتُ الهوى

ففي حانةِ الليل خَمَّارُهُ
وتلك النُّجَيْماتُ سُمَّارُهُ
وتحتَ خيامِ الدُّجى نارُهُ
وهَمْسُ النسائمِ أسرارُهُ
وفي كلِّ شيء يَلوُحُ الهوى
ولكنْ لمن ذاقَ طعمَ الهوى



يَهُونُ عـذابُ الجسم والروحُ سالمٌ
فكيف وروحُ المستهــامِ جـروحُ
وليس الذي يشكو الصبـابةَ عـاشقاً
ومـا كـلُّ بـاكٍ في الغـرامِ قَـرِيـحُ

يَقُولونَ لي غَنِّي[1]

غريبٌ على بابِ الـرجـاءِ طـريـحُ
ينـاديـكَ مـوصـولَ الجـوى وينـوحُ
يَهونُ عذابُ الجسمِ والروحُ سالمٌ
فكيفَ رورحُ المـسـتـهـام جـروحُ
وليس الذي يشكو الصبابةَ عـاشقاً
ومـا كـلُّ بـاكٍ في الغـرام قَـرِيـحُ
يقـولـون لي غَنِّي وبـالقلبِ لـوعـةٌ
أُغنِّي بـهـا في خَـلْوتـي وأَنُـوحُ
ولي في طريق الشوق والليلُ هائمٌ
ولي في مَقامِ الوَجْـد حالٌ ولـوعةٌ

---

(١) من أغاني رابعة العدوية. ألحان كمال الطويل. وغناء أم كلثوم

مـعـالـمُ تَـخْفَـى تَـارةً وتـلوحُ
ودمـعٌ أداري في الهـوى ويَبُـوحُ
وأنت وجـودي في شهودي وغَيْبَتي
وسـرُّك نـورُ النـورِ. أو هـو روحُ
ومـا رَحَلَتْ إلاّ اليـكَ مـواجـدي
وداعي الهـوى بـالـوالهين يصيـحُ
بِسِـرٍّ الهـوى يغـدو وفيـه يـروحُ
غـريبٌ على باب الـرجـاءِ طـريـحُ



حَيـائي مـنـكَ يُبْعِـدُني　　وداعي الشـوقِ يُـدْنِيـني
ووَجْـهُ الصَّفْـح يُخْجِلُني　　ويـقـتـلُني ويُـحْـيـيـنـي

في بحار النّدَم[1]

على عيني بكتْ عيني   على رُوحي جَنَتْ روحي
هواكَ وبُعْدُ ما بَيْني   وبينكَ سِرُّ تَبْريحي
على عيني
على روحي
فياغوثاهُ ياغوثاهْ
ومِنْ طُول النَّوى أوَّاهْ
وآهٍ آهْ
صحا مِنْ شجْوِهِ كأسي   وقد نامَ الخَلِيُّونا
فكيف أَفِرُّ من نفسي   إذا هامَ المُحبُّونا
على نفسي

---

(١) موسيقى وألحان رياض السنباطي. وغناء أم كلثوم.

جَنَتْ نفسي
فيا ويلاهُ يا ويلاهْ
ومن طول النَّوى أوَّاهْ
وآهٍ آهْ

حيـائي مـنـك يُبْعِـدُني وداعي الشـوق يُـدْنِـينـيِ
ووَجْـهُ الصَّفْـح يُخجلني ويقتـلـني ويُـحيـيـنـي

وأيامي
تُقاضِيني
على ما كان يا أسفاه
ومِنْ طولِ النَّوى أوَّاهْ
وآهٍ آهْ

خَـلَوْتُ إلـيـكَ يـاربـي وقـلتُ عسـاكَ تـقـبلُنـي
فـمـا بـالي أرى ذنـبـي وأيـامـي تُـطارِدُنـي

مَدَدْتُ يدي
فَخُذْ بيدي
اليكَ ومنكَ يا ربَّاه
ومن طول النوى أوَّاهْ
وآهٍ آهْ



في كأس عُمري بقايا مَنْ يُشاربُني
ومَنْ يُسطارِحُني والعيشُ ريحانُ

صُحُبَةُ الرّاح(١)

يا صحبةَ الرَّاحِ: أَهْلُ الراحِ هل حانُوا
وهل تَغَنَّتْ على أيامِها الحانُ
صَبا النَّدامى وما في الحانِ أَلْحانُ

* * *

في كأسِ عمري بقايا مَنْ يُشارِبُني
ومَنْ يُطارِحُني والعيشُ رَيْحان
ثُمالَةٌ مِنْ دموعِ الشَّجْوِ ألوانُ
إبريقُها راحَ يبكي وهو فرحانُ
ثُمالةٌ آهِ لو فَاضَتْ. وآهِ إذا

---

(١) موسيقى وألحان رياض السنباطي. وغناء أم كلثوم

غـاضَـث. وواهـاً لـهـا والـقـلبُ لـهـفـانُ
عـهـدي بـهـا وكـؤسُ الـصَّـفْـوِ مـتـرعـةٌ
بـهـنَّ طـافَ عـلى الـسَّـكْـرى سُـكَـرْانُ
لا يـشـربُ الـراحَ إلاَّ أنـه ثَـمِـلٌ
نـشـوانُ والـكـاسُ فـي كـفـيـه نـشـوانُ

* * *

تُـرى تَـعـودُ الـلـيـالـي والـهـوى مـعـنـا
يـا غُـرْبَـةَ الـكـاسِ مـا لـلـكـاسِ نُـدْمـانُ



ولستُ على الشَّجْـو أشكو الهـوى
رضيتُ بمـا شئتَ لي في هـواكـا

أُحبُّكَ حُبَّيْن[1]

عـرفتُ الهوى مُـذْ عـرفتُ هـواكـا
وأغـلقـتُ قـلبـيَ عَـمَّـنْ عـداكـا
وقـمتُ أنـاجيـكَ يـا مَنْ تـرى
خفـايـا القلوبِ وَلَسْـنـا نـراكـا
(أحبُّـك حبيـن: حُـبَّ الـهـوى
وحبـاً لأنـك أهـلٌ لـذاكـا)[2]
(فـأمَّـا الـذي هـو حُبُّ الهـوى
فَشُغْلِي بـذكـركَ عَمَّنْ سِـواكـا)

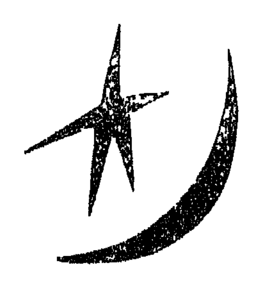
---

(١) موسيقى وألحان رياض السنباطي. وغناء أم كلثوم.
(٢) الأبيات الأربعة الواقعة بين الأقواس من شعر السيدة رابعة.

(وأمــــا الــذي أنـت أهــلٌ لــه
فَكَشْفُـكَ لي الحُجْبَ حتى أراكـا)
(فــلا الحمـدُ في ذا ولا ذاك لي
ولكنْ لـك الحمـدُ في ذا وذاكـا)

* * *

واشتــاقُ شـوقين: شَــوْقَ النَّــوى
وشـوقاً لقُـرْب الخُطَى مِنْ حمـاكـا
فــأمَّـا الــذي هــو شَــوْقُ النَّــوى
فَمَسْـرىَ الـدُّمـوعِ لـطولِ نــواكـا
وأمّـــا اشتيـــاقـي لِقُـــرْبِ الـحِمـى
فنـــارُ حيـــاةٍ خَبَتْ فـي ضيـــاكـــا
ولستُ على الشَّجْـوِ أشكو الهـوى
رَضِيتُ بمـا شئتَ لي في هــواكـا



تعلّمتُ معنى أن تسيــرَ بمشـعــلٍ
يـشـقُّ غُبــارَ الـلـيــلِ مـعـتــمُ
فيهدي حيارى طال في الدَّرْب سَيْرُهُمْ
وباتُوا على سَفْـح الأماني وخَيَّمُـوا

كنتُ مُعَلّماً

ألقيت في الحفل الذي أقامته نقابة المهن التعليمية يوم السبت الأول من أكتوبر ١٩٧٦ لتكريم الشاعر باعتباره واحداً من الروّاد الأوائل الذين كرمتهم الدولة في هذا اليوم.. يوم المعلم.

ترنَّمَ حاديهم فهل فيك مُنعمُ؟
وأقدمَ ناديهم فهل أنت مُقدمُ
ألستَ ترى أعلامهم كعلومهم
مصابيحَ من نور الهداية تُنْظَمُ
تحفُّ بها الأضواءُ من كل جانبٍ
ألستَ ترى. أم أنت غافٍ مُهوَّمُ

فقلتُ: أرى. والعينُ توهم مَنْ يرى
ذكـاءَ فَـدَعْـنِي إنـني أتـوهَّـمُ
مواكبُ في طهر الملائك أغـربتْ
معـالِمُها عني فسـاءلتُ عنهمـو
لمن هـذه الأعلامُ تَخفُقُ بـالسَّنـا
ومـا ذلك الحشـدُ الكبيرُ المكـرَّمُ
سألتُ. فقالوا: يا لَكَ اللّهُ. هذه
مـشـاعـلُ يـوم للمـعلم يُـرْسَـمُ
وتلك الحُفُـولُ الـزَّاحفـاتُ مـواكبـا
هي الحشدُ. وهي المجدُ. وهي المعلِّمُ
فقلتُ خـذوني حاديـاً في ركـابهم
فإني ـ وان باعَدْتُ ـ يا قـوم منهمو
خـذوني أغنيهـم وأنثـر عـنـدهم
خـواطـر مَنْسِـيٍّ يَحِـنُّ إليـهمـو
ويـذكرُ أيـام الشبـاب الـذي مضى
فـيـأسىَ عـلى أيـامـه ويُـرَحِّـمُ
ويـذكـر أحـلامـاً قـطعنـا طـريقهـا
على الشـوك لا نشكـو ولا نَتَبَـرَّمُ
ونشـربُهـا رَنْقـاً. ونـرضى بشـربِهـا
وتَحْلو لـنـا أيـامُنـا وهـي علقـمُ

وَنَسْقي غِـراسَ الجيلِ ذَوْبَ قلوبنـا

ونَجْنِيــهِ حبــاً طيِّبَ النَّشْــر يَفْغَـمُ

ومـا زال عنـدي ذكـريـاتٌ عـزيـزةٌ

عَـزَازَةَ مَنْ عـانَـوْا ولم يتــألَّمــوا

كراريسُ يُفْني الليلَ تصحيحُ بعضِها

ودفـتــرُ تحـضيــرٍ يُـبِيـنُ ويُعْـجِـمُ

وما زال في سمعي صدى جرسٍ لهم

يــدقُّ فَيَبْــدِي. أو يــدقُّ فـيختـمُ

إذا مـا دعـا للدرس بــاكَـرَ فتيــةٌ

كــأفْـراخ طيــرٍ حـول وِرْدٍ تُحَــوِّمُ

فـإن لمحوني داخـلاً صاحَ صـائحٌ

قياماً. . فقاموا. واستقاموا. وعظَّمُوا

وتـلك لَعَـمْــرُ الأريحيــةِ لمحــةٌ

من الصدق والعرفانِ تُـوحي وتُلْهِمُ

* * *

وأشهــدُ أني قــد تعلَّمتُ منهمــو

لقــد كنتُ أيضــاً منهـمــو أتعـلَّمُ

تعلَّمْتُ معنى أن يُضَحِّي بنـفسِـهِ

شهيــدٌ لِيَبْـقَى لـلصبــاحِ الـتَّبَـسُّمُ

تعلَّمتُ معنى أن يعيشَ لغيرِهِ
دَؤُوبٌ لِيُغْنِي غيرَهُ وهو مُعْدِمُ
تعلَّمتُ معنى أن تسيرَ بمشعلٍ
يشقُّ غبارَ الليل والدربُ مُعْتِمُ
فَيَهْدِي حيارى طالَ في الدربِ سَيْرُهُمْ
وباتُوا على سَفْحِ الأماني وخَيَّمُوا
ويفتح آفاقَ الحياةِ رحيبةً
ويدعو إليها مَنْ أشاحوا وأحجموا
وأدركتُ أن المرءَ حيثُ نصابُهُ
من العملِ الباقي أَتَمُّ وأَحْكَمُ
وأُقسم إني ما عرفتُ حقيقتي
ولا كنتُ إلَّا حين كنتُ أعلِّمُ
كذلك يعلو بالمعلم قَدْرُهُ
ويكبرُ في عين الزمان ويعظُمُ
ويسمو على آلامه بين معشرٍ
يكدُّ ليرتاحوا ويشقى لينعموا
هو الرائد السَّاقي يوزِّعُ نفسَهُ
على أنفسٍ عطشى ويُعْطِي ويَقْسِمُ
ولم أَرَ في المُعْطِين مِثْلَ عطائِهِ
فذلك أَبْقَى من جَداهم وأَقْوَمُ

اذا كان مَنْ يُعطي مِنَ المال كِرْمَةً
فإنَّ الذي يُعطي مِنَ النفسِ أكرمُ
وإن كان مَنْ يَبْني العمائرَ مُعْظَماً
فإن الذي يَبْني النفوسَ لأَعْظَمُ
وما زالتِ الدنيا بخيرٍ إذا دَنا
جَناها لِمَنْ شَقُّوا ثراها وأولموا
وما زالت الدنيا بخيرٍ اذا وَفَى
بَنُوها لمن ذادوا ورادوا وقوموا
سلامٌ على يومِ المعلمِ إنه
وثيقةُ حبٍّ.. والسلامُ عليكمو



يا لياليَّ بالحسينِ أعيدي بسمةَ الدهرِ واخطري مِنْ جديدِ
نحنُ في شاطىء الحياةِ حيارى قد أقمنا على ضفافِ الوجودِ

شَاعرٌ غَريبٌ

رائدُ الليل خَلْفَ وَهْمٍ بعيدِ
وخيالٍ من الأماني عنيدِ
وغـريبٌ يرى الصبـاحَ غـريبـاً في حيـاة كَلَيْلِهِ المَعْقُـودِ
وَلْوَلَ القيدُ في يديه وصاحت في شرايينه دماءُ الشهيـدِ
قلمٌ كان بسمةً في فَمِ الدنيا فماتت على فَمِ الفرِّيـدِ
أَقْفَرتْ روحُهُ وغاضَتْ معانيه وأَمْسى على الثّرى فَضْلَ عُودِ
وبقـايا حشـاشةٍ تتلوّى تحت حَـرِّ الجوى وبَـرْدِ الوعـودِ
جَفَّ حتى أنكرتُهُ وهو مني شَبَـحُ الأُمّ من خيالِ الـوليدِ
آهِ من آهـةٍ بقلب شريـدٍ ضلَّ في ذلـك المَتاهِ الشّـريدِ
نحن في عالم جُماداهُ أنا قد نَسِينـا به معـانِي الوجـودِ
أتكـونُ القبـورُ أضيقَ أم تلك الفيـافي لسـاهـدٍ يَـرْقُـودِ

وارتقابُ الجحيم أم ذلك الرُّعب بجوٍ مُسَمَّمٍ محدودِ
وعُواءُ الضِّباعِ بالليل أم جَرْسُ الأفاعي مُصَلْصِلاً من بعيدِ
وجماهيرُ من عقاربَ زُغْنٍ شائلاتٍ أذنابَها كالبُنُودِ
تَلْسُبُ الحيَّ والجمادَ كما استلهمَ أعمى عصاهُ فوق الصَّعيد

* * *

كلَّ يوم لنا فنونُ دفاعٍ في نزاعٍ على البقاءِ الكسيدِ
تَتَبارَى مع الطبيعةِ والأوهام والخوف والدجى والبيدِ
ظلماتٌ يَجْثُمْن خَلْف دياجٍ ورعودٌ يَجْأَرْنَ إِثْرَ رعودِ
أين حربُ الأعصابِ من هذه الحرب تلظَّتْ في ليلها الموعودِ
أعُواءُ المدافع الشُّكْسِ أم زَأْرُ غضوب على الربى شُحْذُودِ
يوقظُ الليل كلَّه ويكادُ الفجرُ ينشقُّ خيفةً في النُّجود
وسِمامُ الغازات أم ذلك الصِّلُّ بقرنيه لابداً في الحَرِيد
آهِ من أهةٍ بقلب شريدٍ ضلَّ في ذلك المَتَاهِ الشريدِ

* * *

مَنْ أباحَ الشُّذا وكان حراماً. وحشةُ الروض أم بكاءُ الورود
والذي أسلمَ العنادلَ للذلّ هواها أم كبرياءُ النشيدِ . .
لهفَ نفسي على ورودِ القوافي . يذبلُ الوردُ في القفار ويُودِي
خطراتٌ يَلْمَعْن في ذلك القفرِ كماءٍ في الصخرة الصَّيْخُودِ
حَرَّ قلبي عليكِ يا مصر. يا مهبط وحيي ويا مَرادَ قصيدي

يا لياليَّ بالحسين أعيدي بسمةَ الدهر واخطري من جديدِ
قد بكى النايُ في يد العازف النائي وأنَّتْ أوتارُهُ من بعيدِ
نحن في شاطىء الحياة حيارى قد أقمنا على ضفاف الوجود



كذلك جيشـك في غرمـه   دمـاء حلال وأرض حـرام
سلامٌ على الجيش في يومهِ   وفي كـلّ يوم عليـه سلامْ

نشيدُ الجيش(1)

مجدٌ في يومِه المُرْتَقَبْ وأشرقَ في عيدِهِ ما غَرَبْ
فقُمْ حيِّ جيشَكَ جيشَ العَرَبْ
حَـمِـيَّ الـذِّمـامْ وجـيشَ الـسـلامْ
سـلامٌ سـلامٌ سـلامْ

* * *

مِنْ مجدِنـا الغـابـرِ وصُغْنـاهُ مِنْ دمِنـا الثـائـرِ
أَعَزَّ من الروحِ والناظرِ
ثـورتِنـا الـظّافِـرَهْ وقـوَّةُ قـوتِهـا القـاهـرَهْ
ويَأوِي السلامُ إلى ظِلِّهِ

---

(1) يلقى وألحان رياض السنباطي، وغناء أم كلثوم

فيحمي السلامَ ويرعى الذّمامْ
سلامٌ على الجيش في يومِهِ
وفي كلّ يومٍ عليهِ سلامْ

* * *

مشى المجدُ في يومه المرتقب
تُـعَـطّرُ واديـكَ أمـجـادُهُ وتخـطُرُ بـاليُمنِ أعـيـادُهْ
وتَحْمي العروبَة أجنادُهُ
اذا جَرَّدَ السيفَ مَنْ جَرَّدا أَدارُوا عليه كـؤوس الرَّدَى
وَرَدُّوهُ يعثرُ في ظُلْمِهِ
وقد لَبِسَ الصبحُ وَجْهَ الظلامْ
سلامٌ على الجيش في يومِهِ
وفي كلّ يومٍ عليه سلامْ

* * *

مشى المجد في يومه المرتقب

* * *

سَلُوا عَيْنَ جالوتَ عن أَمْسِهِ سلوا أرضَ سيناءَ عن بأسِهِ
إذا صَرَّحَ الهَوْلُ عن نفسِهِ
وكبّـر للمـوت مَنْ كَبَّـرا ونادَى إلى الله أُسْدَ الشَّرى
كذلك جيشُكَ في عَزْمِهِ

دماءٌ حلالٌ وأرضٌ حرامْ
سلامٌ على الجيش في يومِهِ
وفي كلِّ يوم عليه سلامْ



كـأنـي حـيـن أَنْـفُـثُـهـا دخـانـاً
وأُغْـرِقُ في سحـابتهـا سحـابي
أُحـيـلُ قـلـيـلَ أيـامـي بَـخُـوراً
وأَعْـقِـدُهُ عـلى هـذا الـضَّـبـابِ

سيجارَتي

مُعَلَّلَةٌ كأنَّ النارَ فيها
دبيبُ اليأس يصرخُ في إهابي
وأحسبُ أنني أشعلتُ فيها
بقايا مهجتي دُون النّقاب
تُخدِّرُ مِنْ هُمُومك وهي هَمٌّ
وتُورِدُكَ المعاطبَ كالرِّغابِ
وتُنسِيكَ الليالي وهي ذكرٌ
من النسيانِ مُلتطمُ العُباب
كأني حين أنفُثُها دخاناً
وأُغرِقُ في سحابتها سحابي
أُحيلُ قليلَ أيامي بَخُوراً
وأعْقِدُهُ على هذا الضَّبابِ

وأشعـرُ حين تَخْبُـو أن نفسي

شعـاعٌ في يـد الأقـدار خـابي

* * *

مُصـاحبتي وأنـتِ حُـطام نفسي

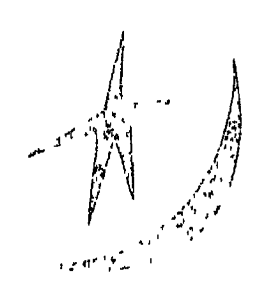
متى كـان العـدوُّ من الصحـابِ

إذا ارْفَضَّ النـديُّ وبِتُّ وحـدي

وطـال الليـلُ بي وخـلا وِطـابي

هـربتُ لهـا على عِلْمِي بـأني

أَفِـرُّ من العـذابِ إلى العـذابِ



عَـهْـدُهُ الـوَثيـقْ واحـةُ الـنجـاهْ
أوَّلُ الـطريـقْ هـو منتـهـاهْ

عَروسُ السَّماء(١)

أوقـدوا الـشـمـوسْ أُنْـقُـروا الـدُّفـوف
مـوكـبُ الـعـروسْ فـي الـسَّـمـا يـطوفْ
والمُنَى قُطوُفْ
أُنقروا الدفوف

* * *

الـرِّضـا والـنُّـور والـصَّـبـايـا الـحُـورْ
والهوى يَدُورْ
آنَ لـلـغـريـبْ أن يـرى حـمـاهْ
يـومُـهُ الـقـريـبْ شـاطـئ الـحـيـاهْ

(١) موسيقى وألحان محمد الموجي وغناء أم كلثوم

والمُنَى قُطوُفْ
في السَّما تطوُفْ
أُنْقُروا الدُّفُوفْ

* * *

يـا حـبـيـبَ الـرُّوحْ تـائـهٌ مـجـروحْ
كلّه جروحْ
لائـذٌ بـالـبـابْ شـوقَـهُ دعـاه
والـرضـا رِحـابْ يـشـمـلُ الـعُـفـاهْ
والمُنى قطوف
في السَّما تطوف
أُنْقُروا الدفوف

* * *

طـافَ بـالـسـلامْ طـائِـفُ الـسـلامْ
يُوقظُ النِّيامْ
عـهـدُهُ الـوثـيـقْ واحـةُ الـنَّـجـاهْ
أوَّلُ الـطريـقْ هـو مُـنْـتَـهـاهْ
والمُنى قطوف
في السَّما تطوف
أنقروا الدفوف

* * *



إذا كـان قولُ الحقّ جَهْـدَ دُعـاتِـهِ
فَفِعْلُكَـهُ لا شـكّ أَحْـرى وأَجْهَـدُ
وليس الـذي يحيـا الـزمـانُ بفعلِهِ
كمثـل الذي يحيـا وليس لـه غَـدُ

كلمةُ وَفاء

ألقيت في الحفل الذي أقيم بدار الأوبرا عام ١٩٤٦ تكريماً للصديق الراحل أبي الشعراء إبراهيم دسوقي أباظة

على أَيّ فـرعٍ من معانيـك أُنشـدُ
لقـد حَنَّ للشَّـدْو الهتـوفُ المغـردُ

وطـابَ لـه لحنٌ جـديـد سقى بـه
نـدامى معـان فيـك تـدنـو وتبعـدُ

صحا الشعرُ في محرابِها هَمْسَ نغمةٍ
تـظلُّ بنفس السَّـامعـيهـا تـرَدَّدُ

بَدَتْ في كهوفِ النفس معنىً مُخَلَّقاً
لـه في كهـوف النفس نـارٌ ومعبـدُ

تَسطِيف شـواديـه كـأحـلامِ شـاعـرٍ
لـه في ضفاف الفنّ مَغْنىً ومعهـدُ
سعى لـك منغومَ اليـراعـةِ شـاديـاً
يُـرَتِّـلُ ألحــانَ الــوفــاء وينشــدُ
ألـستَ الــذي أَنْبَـتَّــهُ وسقـيتَــهُ
فها أنت تجني ما زرعتَ وتحصـدُ
من الأدبِ المـطبوع صُغْتَ منونَـهُ
ورُحْتَ تـزكّيـهِ وتُـوحي وتـرشــدُ
فسـارَ يجوبُ الـدهرَ تَسْقِي لحـونُهُ
مَلاحِنَ مَنْ غَنَّوْا بــه ثم ألحـدوا
فـأيّ أيــاديـك الكــريمــة إنهــا
لكــلّ معـانيــه الكــريمــةِ مــوردُ
وأيّ معــانيــك الــرفيعــة إنـهــا
لآفــاقــه العليــا سبيــلٌ ومقصــدُ

* * *

تـزاحمت الأضواءُ حـول خواطـري
وتــرجمهــا حــبٌّ قــديمٌ مُـجَــدَّدُ
ألست الفتى تُـرْجَى يـداه. وَيُتَّقَى
كمـا يُتَّقَى السَّيْبُ الهَتُونُ ويُقْصَدُ

وبيتُـكَ فيـه للفنـون مَثـابـةٌ
فكـلُّ أديبٍ في حمـاك مُحَسَّـدُ
ومَنْ لـكَ بالبيتِ الـذى هـو كعبةٌ
يُصَلِّي بهـا شعـرٌ، وعلمٌ، ومحتـدُ
دسوقي وإلّا مَنْ؟ وكيف اذا انبرتْ
لمصـر الليـالي والحـوادثُ تُـرْعِـدُ
لـه غضبـةُ الأحــرار تَنْضَـحُ عــزةً
إذا زايـلَ الأغـرارَ ذاك الـتـجـلُّدُ
وليس الـدسوقي واحـداً بين قومـه
ولـكـنـه جـيشٌ ورأيٌ مـؤيَّـدُ
وإنَّ شجـاعـاً من يشقُّ بـرأيـه
طريقاً على شـوك الخصومة يُمْهَدُ
ومَنْ كـان لا يـرضى ببسط يمينِهِ
ولـو كـان فيهـا جمـرةٌ تتـوقَّـدُ
كـذلـك إبـراهيمُ رأيـاً مـجـرَّداً
وأشرفُ ما في النفس رأيٌ مجـرَّدُ
مِنَ الصِّيدِ شَبَّ المجدُ حول بيوتهم
فكـلُّ فتى قَـذُّ المجـادةِ أَصْيَـدُ
مسـاميحُ وضَّـاحُونَ. للنُّبْـلِ منهمو
بكـلِّ سمـاءٍ في الكنـانـة فَـرْقَـدُ

وشَتَّـانَ بين المجـدِ طبـعٌ ومحتـدٌ

أصيـلٌ وبين المجـدِ شيءٌ مُـقَلَّدُ

* * *

على أيّ فـرعٍ من معانيـك أُنشدُ

وفي أيّ بيتٍ من مـزايـاك أَخْلُدُ

وفيـكَ لمنهـومِ الخيـال عـوالمٌ

من الواقع الملمـوس أقوى وأبعـدُ

وتاريخُك المـوصولُ تـاريخ نهضـةٍ

يُسجّلُهـا جيـلٌ من العـزمِ أَيِّـدُ

تُصـاوِلُ بـالـرأي الخصـومَ وربمـا

أصابَ الحجا ما لم يُصِبْه المهنّـدُ

بلاءُ الجهادِ المُرِّ في زحمة الدُّجى

وفي النـاس أصنـامٌ تَضِـلُّ وتُعْبَـدُ

إذا كـان قولُ الحقّ جَهْـدَ دعـاتِـهِ

فَفِعْلُكَـهُ لا شـكَّ أحْـرى وأَجْهَـدُ

وإنَّ صـلاحَ الحكم تفسـدهُ يَـدٌ

كمـا أن سوء الحكمِ تُصلحـه يَدُ

وليس الـذي يحيـا الـزمـانُ بفعلِهِ

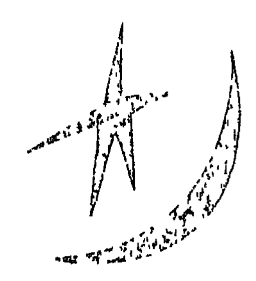
كمثـل الذي يحيـا وليس لـه غَـدُ

وما كنتَ تـزهـو أن تنـالـكَ رتبـةٌ

وأنت عن الألقـابِ تَغْنَى وتَـزْهَـدُ

وفي الناس مَنْ تعلو المناصبُ باسمِهِ

وفي الناس مَنْ يعلُو عليها ويصعدُ



نحن في عالـمٍ تَحَيَّفَهُ الشكّ وضلّ الصواب فيه الصوابا
أمةٌ تنشدُ السـلامَ فما بـال حمام السـلام أمسى غرابـا

أَلحانٌ ثائِرةٌ

مهداة للصديق المناضل القديم محمود فهمي النقراشي عندما طار إلى نيويورك عام ١٩٤٧ ليخاصم الاحتلال البريطاني إلى مجلس الأمن ويقول للانجليز أخرجوا من بلادنا

أَلْقِ عن وجهِها الغضوبِ النِّقابا
لا تُخاصِمْ إلى الذئابِ الذئابا.
أَمِرَ الأَمْرُ فادَّرِعْهم شيوخاً عاقَـرُوا الصبرَ وادَّرِعْهُم شبـابا
وأَدِرْ لَحْنَكَ الذي أيقظَ الثورةَ وَاخْمُرْ في صَهْدِهِ الأعصابا
نحن في عالمٍ تَحَيَّفَهُ الشكُّ وضلَّ الصوابُ فيه الصوابا
أمةٌ تنشدُ السلامَ فما بالُ حمامِ السلام أَمْسى غرابا..
أيُّ أمثـولةٍ أصمَّ بهـا الداعي وإنْ هـاجَ ثائـرين غِضابـا

معبدٌ صوَّرَ العدالةَ في الأرض إلهـاً والأَمْنَ فيها نصـابا
مـا لرهبـانِهِ العجـائزِ كـانوا أوَّلَ الملحـدين لَمَّـا أهـابـا
مـا لألحانِهِ الجميلةِ بـاتت فـوق اطـلالـه بُكـاً ونُعـابـا
إنمـا نحن أمةٌ تَعْلِكُ الحِقْدَ فما بـالُنـا نَعـافُ اللُّهـابـا
واذا الحقُّ لم يصادِفْ سميعاً. أوشك الحقُّ أَنْ يَحوُلَ احْتِرابا

* * *

ليس في شِرْعِة الطواغيتِ غَيْرُ النارِ رَباً وغيرُها محـرابا
والذي يطلبُ الحياةَ سلاماً كالذي يطلبُ الحيـاةَ سَرابـا
ذلَّ مَنْ يركبُ الرَّجاء وفي كفيه ظُفْرٌ يذودُ.. ذَلَّ رخابا



لا تختصمْ يوماً إلى حَكَمٍ غيرِ الظّبا واضربْ كما ضربُوا
أضربْ بغيرِ الهـاتفين فقد أَوْدَى بقومي الفِقْهُ والخُطَبُ

إضرُبْ بغيرِ الهاتفين

في استقبال قواتنا التي كانت محاصرة بالفالوجه في حرب ١٩٤٨

ضَجَّ الحديدُ وأعْوَلَ اللّهبُ وتنفَّستْ في نارها النُّوَبُ
واستعصمَ الأبطالُ ما تعبتْ يوماً عزائمُهم وما تَعِبُوا
في موقفٍ جُنَّ اللُّهابُ به وتراشقتْ بأوارِها الشُّهُبُ
والموتُ أيسرُ ما يكابدهُ مَنْ كابدوا الأهوالَ واغتربوا
صبرٌ. ولو كان اللظى صبروا ضربٌ. ولو كان الرَّدى ضربوا
الجائِعُونَ من العِدا أكلوا الظامئون من الدِّما شربوا
والراكبون لكل راعِبَةٍ هوجاءَ يحجمُ عندها الرَّهَبُ
في كلّ يوم كان يَفْجَؤُهُمْ يومٌ كيوم الحشر مُرْتَهَبُ
فالجو نارٌ، والثرى جُثَثٌ والرُّعْب في الأخلادِ يضطربُ

صبروا وصوتُ النارِ حشرجةٌ واستبسلوا والموتُ يقتربُ
في موقفٍ ضَنْكٍ تفورُ به أهوالُها والموت ينسربُ
وكأنهم بحرٌ يموجُ لظى وكأنما أعداؤهم حَبَبُ

* * *

وعلى الأسَاوِدِ أسودٌ لَجِبٌ هو وحده جيشٌ بها لَجِبُ
حاقَتْ به البلوى فقال لها فَوْزُ الكماةِ الغُلْبِ يُغْتَصَبُ
إني أنا (الضَّبع) الذي عرفوا والضيغمُ العادِي الذي رهبوا
قالوا الحصارُ فقلت لو عرفوا عُقْباهُ لم يُمْهِلْهُمو الهَرَبُ
لرجاليَ الأبطالِ ما جمعوا ولنارِيَ الحمراءِ ما جلبوا
لم تُبْنَ أحجاراً معاقلُنا أحجارُهُنَّ الصبرُ والغَلَبُ
واستمطر الموتَ الزؤامَ على هاماتهم فكأنه سُحُبُ
وصحتْ بمصر مجادةٌ سَلَفَتْ وزها حماها الكبر والعَجَبُ
فكأن كل قذيفةٍ مَرَقَتْ بلدٌ يقومُ وأمةٌ تَثِبُ

* * *

لم أنسَ عودته وقد حُشدت عصبٌ تضجُّ وراءها عُصَبُ
يستقبلون أشمَّ ما شهدتْ نِدًّا له الأجيالُ والحِقَبُ
نثروا عليه الوردَ ما عرفوا كم شوكةٍ بدماه تختضبُ
أفضى اليه بسره الرَّهَبُ واقْتَاتَ مِنْ عزماتِهِ اللَّهَبُ
واستلهمَ التاريخُ وَثْبَتَهُ والحرُّ إن خَاشَنْتَهُ يَثِبُ
ياهَوْلَهَا حرباً يمدُّ لها ظلمُ العبيد البيض والكذبُ

كانت حديداً كالحاً ولظىً واليوم يعلنُ حربَهُ الذهبُ
لا تختصمْ يوماً إلى حَكَمٍ غيرِ الظُّبا واضربْ كما ضربوا
إضربْ بغيرِ الهاتفين فقد أَوْدَى بقومي الفقهُ والخُطَبُ
ليس الجهادُ لِطامَ نائحةٍ إن الجهادَ الحَرْبُ والحَرَبُ

* * *

يا ماردَ الجيش الذي انْبَعَثَتْ وصَحَتْ على صرخاتِهِ العربُ
يا قصةَ النيلِ التي كتبتْ أسْطارَها الآلامُ والنُّوَبُ
جُرْحُ الكنانةِ بيننا رَحِمٌ والثَّأْرُ بين طِلابِهِ نَسَبُ



بُكائِيَّاتٌ



أيُّهذا النديمُ أَفْـرِغْ كاسي   قد تولّى زمانُ تلك الكاسِ
كَلاَّ ءَ العُمْرُ يا نديمُ فَدَعْني   لا تكنْ قاسياً كبعض الناسِ

وَرَاءَ الرّاحلين

قلتُ للكاس والليالي غَرِيمي. أين يا كاسُ كَرْمتي ونعيمي
جمعَ الليلُ شاربيها فما لي لا أرى بين شاربيها نديمي
فأجابتْ مَنِ احْتَكَمْ
لليالي فقد حَكَمْ

* * *

والليالي تسيرُ خَلْفَ الليالي حـاملاتٍ حقـائبَ الآجـالِ
نائمُ القلبِ غافلٌ لا يراها أو يـراهـا لكنـه لا يبـالي
آه لو يفهمُ الأَلَمْ
آه لو يعرفُ النَّدَمْ

أيّهـذا النديمُ أَفْـرِغْ كاسي قد تولّى زمانُ تلك الكاسِ
كَلأَ العُمْرُ يا نديمُ فَدَعْني لا تكنْ قاسياً كبعض الناسِ

إنني أسمعُ العَدَمْ

وأرى الناسَ في صَمَمْ

* * *

في رنينِ الكؤوس حارت عقولُ   فهي في لحظةِ اللقاءِ تقولُ

هكـذا عيشُنا، لقـاءٌ قليـلُ   وفراقٌ مِنْ بعد ذاك يطولُ

النهاياتُ لم تَتِمْ

والبداياتُ مُخْتَتَمْ



ولو كان جُرْحَ الجسمِ هانَ احتمالُهُ
ولكنـه جـرحٌ تـكـابـدُهُ النـفسُ
فـوارحمتـا للقلب كيف اصـطبارُهُ
وآهٍ على عهـدٍ تـولَّى بـه الأمْسُ

رُوَيْدَكِ يا عَيْني

أقولُ وقد ضاقتْ بحاجتِها النفسُ
رُوَيْدَكِ يا عيني فقد فاضتِ الكأسُ
رأيتُ الليالي آسياتٍ جوارحاً
فما لِلّيالينا تُصيبُ ولا تأسُو
ولو كان جرح الجسمِ هانَ احتمالُهُ
ولكنه جرحٌ تكابدُهُ النفسُ
فوارحمتا للقلب كيف اصطبارُهُ
وآهٍ على عهدٍ تولّى به الأمْسُ
وآهٍ على مَنْ لا يراني ولا أرى
سواه. ومَنْ يحنو عليَّ ولا يَقْسُو
لقد حال صَفْوُ العيش بعد رحيلِهِ
وأصبحتُ وحدي لا أنيسٌ ولا أُنْسُ

وإنَّ جِـدارَ الصَّمْتِ بيني وبينـه
لشيءٌ رهيبٌ لا يُحيطُ بـه حَـدْسُ
وإنَّ سِتـارَ المـوتِ دُوني ودُونَـهُ
لَكَـاللَّيْلِ إذ يَغْشَى جوانِبَـهُ اليَـأْسُ
فيـا ليتَ أَنَّ الله حين قضى بمـا
قضـاه طواني فـاحتوانـا معـاً رَمْسُ



ربوعٌ بها ألقى الربيعُ رحالَهُ
وطابَ له فيها ضحىً وأصيلُ
تُحِسُّ كأنَّ الظلّ فيهنّ نسمةٌ
وكلُّ نسيمٍ فوقهنَّ ظليلُ

حَنِينٌ

أَلَا هـل لـوادي الـرَّاحلين سبيـلُ
أليس لِلَيْـلِ الحـائـرين دليـلُ
تناءتْ بنا الدنيا وحـالتْ عهودُهـا
ومـا كـان ظنِّي أنهـا ستحـولُ
صبـايَ. وأيـامي. ديـارُ أحبتـي
وإنـي إلى تـلك الـديـار أميـلُ
فكـلُّ مكـان غيـرِهـا دارُ غـربـةٍ
وكـلُّ زمـانٍ بـعـدهـنَّ فضـولُ
ربـوعٌ بهـا أَلْقَى الـربيـعُ رحـالَـهُ
وطـابَ لـه فيهـا ضُحىً وأصيـلُ
تُحِسُّ كـأنَّ الـظلَّ فيهنَّ نـسمـةٌ
وكـلُّ نـسيـمٍ فـوقـهـنَّ ظـليـلُ

أَحِنُّ لـــوادي الـــراحلين ومَنْ بِـــهِ
وقلبي بـــوادي الـــراحـلين عـليـــلُ
يُـطالعني والليــلُ يـمتــدُّ بينـنـــا
فـأَشْجَى وليـلُ الحـائـرين طــويـلُ
تـركتُ به أحلامَ قلبي.. تـركتُها
وبي من جَـــواها حيـــرةٌ وذهـــولُ
متى تجمـعُ الأيامُ شَمْلِي وشملَهُمْ
ويسكت داعٍ في الضُّلوع يـقــولُ
أَلَا هل لوادي الراحلين سبيلُ



لقد كنتِ ظِلًّا أَفِيءُ إليهِ
وأَهْرُبُ مِنْ يومِيَ المُرْهقِ
وكنتِ قصيدا جديدَ الرُّؤَى
شجياً معانيه لم تُطْرَقِ

دُمُوعٌ لا تَجفّ

إلى روح زوجي في أول عيد يأتي بعد رحيلها

أتى العيدُ (نازلي) ولم نلتقِ
وغامتْ سمائي فلم تُشرقي
أتى العيدُ يطرقُ بابي فما
أجابَ سوى دمعيَ المُهْرَقِ
أعيدٌ وأنتِ بعيدٌ هناكَ
تُقيمين تحتَ الثرى المُطْبِقِ
وكيف وقد شاهَ وَجْهُ الحياةِ
بعيني وباتَتْ بلا رونقِ

أعيدٌ يُلِمُّ بنا ساقياً
بكأسِ المسَرَّةِ مَنْ يستقِي
وكيفَ وقد أوحش البيتُ منك
وأَقْفَرَ مِنْ أُنْسِهِ المشرقِ

* * *

لقد كنتِ ظلا أفيءُ إليه
وأَهْرُبُ من يوميَ المُرْهِقِ
وقد كنتِ أمناً لروحيَ مِمَّا
أخافُ أذاهُ وما أَتَّقى
وقد كنتِ قلباً كبير المُنى
لغير المحبةِ لم يُخْلَقِ
وقد كنتِ روضاً. تُخْايِلُ عيني
مَخَيِلُ مِنْ حُسْنِهِ الرَّيِّقِ
وكنتِ هَتُوفاً تُناغِمُ سمعي
بلحنٍ من الخُلْدِ لم يُسْبَقِ
وكنتِ قصيداً جديد الرُّؤى
شَجِياً معانيه لم تُطْرَقِ
وكنتِ وكنتِ وكانت لنا
عوالمُ مِنْ روحِكِ المُغْدِقِ

مضى كــلُّ هــذا ولـم يَبْـقَ لـي
سـوى ذكـريـاتِ الأسى المُـوبِقِ
فيهـا لـهفَ نفسـيَ مـاذا مضى
ويـا لـهفَ نـفسـيَ مـاذا بَـقِـي



أبكي على أيامنا القِصارْ
وأنتِ يا حُزْنيِ غريبةُ الديارْ
بعيدةٌ بالرغمِ من قُرْبِ المَزَارْ

دُمُوعٌ لا تجف

٢

لا يَقَرُّ لي قَرارْ
زْني غريبةُ الديارْ
ـم مِنْ قُربِ المزارْ
يَ لا أراكْ
أرى سواك
ـنيا كما نختارْ
ـنا جَنًى يُشْتَارْ
ـعْطار
لأطيارْ
زهارْ
جَرى لنا

وكيف مالتِ الليالي بنا
فبدَّلَتْ أحوالَنا
وبَدَّدَتْ أحلامَنا
وصيَّرَتْني دائمَ الأُوارْ
في ليلةٍ ليس لها نَهارْ
أبكي على أيامنا القِصارْ
وأنتِ يا حُزْني غريبةُ الدِيارْ
بعيدةً بالرغم مِنْ قرب المَزارْ

* * *

يا نسمةَ الفَجْرِ التي نَشَقْتُها
يا جنَّة الحبّ التي غرستُها
يا نعمةَ اللهِ التي فقدتُها
ورحتُ بعدها أُعاتبُ الزمانْ
ولا عتابَ للزمانْ
فهذه حكومةُ الأقدارْ
وليس لي في ذلك اختيارْ
ولا اصطبارْ
وأنت خَلْفَ هذه الأحجارْ
في عالم الأسرارْ
بعيدةً بالرغم مِنْ قُرْبِ المَزَارْ



وسألتُ عن سرِّ الحياةِ
وهالني أني ضللتُ
وأنني في تِيهِ
ونظرتُ للدنيا وما تَعْنِيهِ
وأزلتُ صِبْغَ خدودِها
فتَكَشَّفَتْ عن منظرٍ تحتَ الصِّباغِ كريهِ

دَمْعَةُ وَفاء

مهداة إلى الصديق الراحل الأستاذ الشيخ
محمد عمر.

ما كنتُ أحسبُ أنني أَرثيهِ
فرثيتُهُ
او أنني يومَ النّوى أبكيهِ
فبكيتُهُ
وذكرتُ أحلامَ الصِّبا فذكرتُهُ
وذكرتُ أيامي غَداتَ لَقِيتُهُ
وأَلِفْتُهُ
أيامَ كانَ . .
وكنتُ فيما كُنْتُهُ

والمعهدُ الدينيّ في دمياطَ..
محرابُ الأديبِ وبيتُهُ
ولجامعِ البحرِ العتيدِ مكانُهُ وزمانُهُ
إِذْ كان هذا وَقْتُهُ

* * *

في ذلك العهدِ العهيدِ عرفتُهُ
ووجدتُ نفسي فيه حين وجدتُهُ
وجلستُ منه مجلسَ التلميذِ من أستاذِهِ
وحَضْرتُهُ
وسمعتُهُ
وسمعتُ عنه وقلتُ فيه وزُرْتُهُ
وشربتُ مِنْ رَاوُوقِهِ وسقيتُهُ
ما زال في سمعي يُجلجلُ صوتُهُ
ما زال في عيني بهاه وسَمْتُهُ
والشيخُ في الكشمير يلمعُ كالسَّنا
ويكادُ ينطقُ بالبشاشةِ صَمْتُهُ
والبسمةُ البيضاءُ تَغْسِلُ وَجْهَهُ
وتضيءُ في عَيْنيهِ
وتكادُ تُومِي بالودادِ إليهِ
وكانها رَدُّ السلامِ عليهِ

* * *

ولطالما عَبَثَ الشبابُ . .
وطالما عابَثْتُهُ
وعلى بساطِ اللَّهْو كَمْ ساقَيْتُهُ
فلنا حديثٌ ضاحكٌ لا ينتهي
لولا جلالُ الموتِ كنتُ ذكرتُهُ

* * *

وتَفَرَّقَتْ سبلُ الحياةِ بنا
ونادَى كلٌّ حَيٍّ قُوتَهُ
وتباعدتْ أيامُنا
وتركتُ عهدَ فُتُوَّتي
وتَرَكْتُهُ
وقطعتُ أسبابَ التَّرسُّل بيننا
حتى دعاني نَعْيُهُ فأجبتُهُ
وبكيتُهُ
وبكيتُ نفسي فيهِ
ورأيتُ ما فَعَلَ الرَّدَى بِبَنِيهِ
والموتُ يَنْقُضُ كلَّ ما نَبْنِيهِ
وسألتُ عن سِرِّ الحياةِ . .
وهالني أني ضَلَلْتُ وأنني في تِيهِ
ونظرتُ للدُّنيا وما تَعْنِيهِ

وأَزَلْتُ صِبْغَ خُدُودها . .
فتكشفت عن منظرٍ تحت الصِّباغِ كريهِ
بخداعِها تُخْفيهِ
وَاهاً عجوزَ النَّحْسِ . .
ماذا يَرْتَجِي منكِ العَدِيمُ
وما الذي يَجْنِيهِ

* * *

ولقد تناسيتُ المنونَ . .
فَرَدَّني للموتِ ناعٍ جاءني يَبْكِيهِ
أَوْدَى محمدُ وانطوَتْ أيامُنا
وأتيتُ أَنْشُرُ بعضَ ماتَطْويهِ
وأقولُ فيه شهادةً تُرْضِيهِ
ما مَبْلَغُ العِرْفانِ مِنْ تلميذِهِ . .
وصديقِهِ وأخيهِ
رحمَ الإِلهُ محمداً
وجزاهُ عنا خَيْرَ ما يَجْزِيهِ
وأَثَابَنا فيهِ
وأَعْظَمَ أَجْرَهُ لِذَويهِ

شكر ودموع

إلى الشاعر الملحمي الاستاذ كامل أمين رداً على قصيدة تعزية.

جـدَّدْتَ آلاماً ذَهَبْن بسـائري[1]
وأَعَـدْتَ لي أشجانَ أمسِ الـدَّابِـرِ
يـا مَنْ يُكَـلِّفُـني مـراجـبَ وُدِّهِ
مـاذا صنعتَ بعـالَمي وخـواطـري
واسَيْتَني فَنَكَـأْتَ جُـرحـاً غـائـراً
تَـعْتَـادُهُ أسبـابَ شجـرٍ غـائـر
وأنـا امـرؤٌ عَـرَفَ الكـآبـةَ شَيْبُـهُ
ثمنـاً لسـالفـةِ الشبـابِ البـاكـرِ

---

(١) سائر الشيء: بقيته

أيـامَ كنتُ وكـانت الـدنيـا على
عِـلاَّتهـا أفـراحَ شوقٍ غـامـرِ
والآن قـد بعـدتْ ديـارُ أحبتي
ونَـأى مازارُهُمُو لأقـربِ زائـرِ
تَهْتَاجُـنيِ الذكرى وتُشْجِيني النَّوى
وتنَالُ مِنْ صَبْرِي فلستُ بصـابرِ

المحتويات

الصفحة

مقدمة	٧
راهب الليل	٩
ميلاد شاعر	١٥
في حانة سيد درويش	٢٣
في انتظار الفجر	٢٩
رجعة إلى مويس	٣٥
لحن قديم	٤١
محمود حسن إسماعيل في ذكراه الرابعة	٤٥
وراء خطى الليل	٤٩
هلال المحرم	٥٧
طاعة المعصية	٦٣
لغيرك ما مددت يداً	٦٧
حانة الأقدار	٧١
يقولون لي غني	٧٧
في بحار الندم	٨١
صحبة الراح	٨٥

الصفحة

أحبك حبين ٨٩
كنت معلماً ٩٣
شاعر غريب ١٠١
نشيد الجيش ١٠٧
سيجارتي ١١٣
عروس السماء ١١٧
كلمة وفاء ١٢١
ألحان ثائرة ١٢٩
إضرب بغير الهاتفين ١٣٣
بكائيات ١٣٧
وراء الراحلين ١٤١
رويدك يا عيني ١٤٥
حنين ١٤٩
دموع لا تجف (١) ١٥٣
دموع لا تجف (٢) ١٥٩
دمعة وفاء ١٦٣
شكر ودموع ١٦٧

مطابع الشروق

بيروت . ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٣١٥٢٠١ - برقياً: داشروق - تلكس SHOROK 20175 LE
القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني - هاتف ٧٧٤٨١٤ - برقياً: شروق - تلكس: 93091 SHROK UN